

الحُفَاز الأربعون

تراجم مختصرة لأشهر حفاظ السنة النبوية

تأليف

محمد بن علي بن جميل المطري

المقدمة

الحمد لله منزل القرآن ومعلّمه، وجاعل السنة النبوية مبيّنة له ومفسّرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ورضي الله عن أصحابه وآله والتابعين وأتباعهم الذين تعلموا الكتاب والحكمة، وجمعوا بين العلم والعبادة، ودعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونقلوا العلم النافع إلى من جاء بعدهم، وحفظ الله دينه بهم. أما بعد:

فهذه تراجم مختصرة لأشهر حفاظ السنة النبوية الذين حبّب الله إليهم طلب الميراث النبوي، وصبرهم على تحصيله وجمعه، واختارهم لحفظ أحاديث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ونشرها؛ لتبقى نبراسا هاديا مع القرآن ما بقيت هذه الأمة، حتى يطيع المسلمون الله ورسوله على بصيرة، ويتخذوا رسوله قدوة حسنة، ويهتدوا بهديه.

وقد اختصرت هذه التراجم المباركة من أهم كتب الرجال كتهذيب الكمال للمزي وسير أعلام النبلاء للذهبي وتذكرة الحفاظ للذهبي وولية الأولياء لأبي نُعيم الأصبهاني وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر وغيرها، ومرجعي في ذكر عدد شيوخ كل راو وعدد طلابه كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي بواسطة برنامج المكتبة الشاملة الذي فيه خدمة ترجمة الراوي وذكر شيوخه وطلابه، وعند نقل كلام العلماء في التراجم قد أجمع أقوال العالم الواحد من عدة روايات ومواضع في سياق واحد، اختصارا وتسهيلا.

ولم أذكر في هذا الكتاب حفاظ الصحابة المكثرين رضي الله عنهم لشهرتهم، ولم أذكر جميع حفاظ السنة النبوية لكثرتهم، وإنما اقتصرت على ذكر أربعين حافظا من التابعين وأتباع التابعين وتابعيهم ممن أكثروا من جمع الأحاديث النبوية بأسانيدها، واجتهدوا في حفظها، وتخصصوا في روايتها، واشتهروا بإتقانها، فأحببت أن أعرف بهم، وأبين منزلتهم في العلم وفضلهم.

أسأل الله أن يبارك في هذا الكتاب، وأن ينفع به كل من يقرؤه من المسلمين.

(١) الحسن البصري

نشأ بالمدينة النبوية وحفظ كتاب الله في خلافة عثمان، وعدد شيوخه الذين سمع منهم الحديث: ٨٧ شيخاً من الصحابة والتابعين.

وكان حكيماً زاهداً شجاعاً ملازماً للجهاد في سبيل الله.

قال أبو بردة: والله لقد أدركت الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن!

وقال علي بن زيد: سمعت من ابن المسيب، وعروة، والقاسم، وغيرهم: ما رأيت مثل الحسن!

وقال بكر بن عبد الله المزني: من سره أن ينظر إلى أعلم عالم أدركناه في زمانه فليتنظر إلى الحسن.

وقال محمد بن سعد: كان الحسن رحمه الله جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقةً، حجةً، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً.

وعن الأعمش قال: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر الحسن عند أبي جعفر الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

وقال إبراهيم بن عيسى الإشكري: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، ما رأيت إلا حسبته حديث عهد بمصيبة!

وقال الربيع بن أنس: اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك!

وقال ابن حبان: رأى الحسن مائة وعشرين صحابياً، وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم.

رحل إليه كثير من طلاب العلم لأخذ العلم منه، وبلغ عدد الرواة الذين رَوَوْا عنه الحديث ٣٠١ كما يُعلم ذلك من كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزني، وأهل الحديث يعرفون كل الأحاديث التي رويت من طريق الحسن البصري، ويميزون صحيحها من سقيمها.

توفي الحسن البصري رحمه الله في البصرة سنة ١١٠ هجرية وعمره ٨٨ عاماً.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري

كان من أوعية العلم، وممن يُضرب به المثل في قوة الحفظ، وكان ضريرا، أدرك أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه الكثير من الأحاديث، وروى عن سيد التابعين سعيد بن المسيب وعن الحسن البصري وعن كثير من كبار التابعين، وبلغ عدد شيوخه ١٧٨، وبلغ عدد الرواة الذين رووا عنه الحديث ١١٧ راويا.

وكان قتادة من الفقهاء ومن أهل القرآن، حافظا له علما بتفسيره، وكان متقنا له، قرأ سورة البقرة على سعيد بن المسيب فلم يخطيء فيها حرفا، وكان قتادة إذا سمع الحديث يختطفه اختطافا ولا يهدأ حتى يحفظه، وكان فقيها علما بالعربية وأيام العرب وأخبارها وأنسابها.

قال قتادة: جالست الحسن البصري اثنتي عشرة سنة أصلي معه الصبح ثلاث سنين.

قال محمد بن سيرين: قتادة من أحفظ الناس.

وقال بكر المزني: من سره أن ينظر إلى أحفظ من أدركنا فليُنظر إلى قتادة.

قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى، فقد أنزفتني [أي: أخذت مني علمي كله ولم يبق منه شيء لأحدثك به!!].

قال سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة. وقال له: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك!

قال عبد الرزاق الصنعاني: أنبأنا معمر قال: سمعت قتادة يقول: ما سمعت أذنائي شيئا قط إلا وعاه قلبي.

وقال أحمد بن حنبل: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها!

قال الذهبي: ما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه.

توفي قتادة رحمه الله في واسط بالطاعون سنة ١١٧ هجرية وعمره ٥٨ عاما.

(٣) محمد بن شهاب الزهري المدني

حفظ القرآن وطلب العلم والحديث عند سيد التابعين سعيد بن المسيب ٨ سنوات متواصلة وتفقه به. وسمع الحديث من بعض الصحابة الذين تأخر موتهم كأنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي، وحرص على سماع الأحاديث النبوية من كبار التابعين وأبناء الصحابة الذين أدركهم كعروة بن الزبير بن العوام وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم، وبلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم ٢٤٧.

وكان مشهوراً بسرعة الحفظ، وله أخبار عجيبة في الحفظ والإتقان، وكان عابدا كريما قولاً بالحق ناصحا لأئمة المسلمين وعامتهم.

وهو أول من دون السنة النبوية باستقصاء بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان مهتما بتدوين السنة من قبل أن يأمره الخليفة بذلك، ما ترك شيئا سمعه من السنة النبوية وأقوال الصحابة وأخبارهم إلا كتبه، روى الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله كلاهما من طريق عبد الرزاق الصنعاني قال: أخبرنا معمر عن صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا وابن شهاب ونحن نطلب العلم فاجتمعنا على أن نكتب السنن، فكتبنا كل شيء سمعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه، فقلت: لا ليس بسنة، فقال: بلى هو سنة، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت.

وقال أبو الزناد: كنت أطواف أنا وابن شهاب [أي: لسماع الأحاديث] ومع ابن شهاب الألواح والصحف.

وعن إبراهيم بن سعد قال: قلت لأبي: بما فاقكم الزهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورهم ولا يأتيها من خلفهم، ولا يبقى في المجلس شابا إلا ساءله، ولا كهلا إلا ساءله، ولا فتى إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقى فيها شابا إلا ساءله، ولا كهلا إلا ساءله، ولا عجوزا إلا سألها، ولا كهلة إلا سألها.

وقال الإمام مالك وعبد العزيز الدراوردي: أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب الزهري.

روى عن الزهري مشايخ شيوخ البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل كمالك بن أنس وعمر بن دينار وقتادة وأيوب السختياني وأبي الزناد ومعمّر بن راشد وابن جريج والأوزاعي وابن إسحاق وسفيان بن عيينة، وبلغ عدد الرواة الذين رووا عنه الحديث ٢٣٦ راويا.

وقد كان يحرص أئمة المحدثين على جمع أحاديث الزهري كلها، وعددها ٢٢٠٠ حديث، رويها بالأسانيد المتعددة عن تلاميذ الزهري، ويُنقّاد المحدثين الصحيح منها وهي نحو نصفها، وضعفوا ما رواه الزهري عن قوم ضعفاء أو مجاهيل أو أرسلها من غير ذكر من حدثه بها، وبينوا الروايات التي لا أصل لها من حديث الزهري التي تفرد بها بعض تلاميذ الزهري عنه ولم يتابعهم على روايتها غيرهم، بل بين المحدثون ما زاده بعض الضعفاء الذين رووا عن الزهري ولو كلمة أو شذ به بعض الرواة ولو جملة!!

فلله در المحدثين وعلى الله أجرهم، فقد أفنوا أعمارهم في حفظ سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

توفي الزهري رحمه الله بالقرب من فلسطين سنة ١٢٤ هجرية وعمره ٧٢ عاما.

٤) عمرو بن دينار المكي

محدث مكة في زمانه ومفتيها، كان من أوعية العلم، وأئمة الفقه والاجتهاد، أفتى بمكة ثلاثين سنة.

سمع الحديث من ابن عباس وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وابن الزبير وأبي سعيد الخدري والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وزيد بن أرقم والمسور بن مخرمة وغيرهم من الصحابة، وسمع من سعيد بن جبير وطاووس اليماني وسعيد بن المسيب والزهري والباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب وغيرهم من التابعين، وبلغ عدد شيوخه من الصحابة والتابعين ١٠٥.

قال سفيان بن عيينة: عمرو ثقة ثقة ثقة، وكان عمرو بن دينار جزأً الليل ثلاثة أجزاء: ثلثا ينام، وثلثا يدرس حديثه [أي: يُراجع الأحاديث التي كتبها عن شيوخه]، وثلثا يصلي.

وكان عمرو بن دينار محافظاً على الصلوات جماعة في المسجد الحرام، وحين أُقعد كان يُحمل على حمار ولا يدع الذهاب إلى المسجد.

وكان شديد المحبة والإكرام لأهل البيت، حتى قال شيخه أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين: إنه ليزيدني في الحج رغبة لقاء عمرو بن دينار، فإنه يحبنا ويفيدنا.

زار عمرو بن دينار مرة شيخه أبا جعفر محمد بن علي الباقر فقال لأخيه زيد بن علي وأخ له آخر: قوما إلى عمكما فأنزلاه، فقاما إليه فأعاناه على النزول من دابته إكراماً له.

وكان عمرو بن دينار حافظاً لحديثه متقناً في روايته، حتى قال عنه أمير المؤمنين في الحديث شعبة: ما رأيت في الحديث أثبت من عمرو بن دينار.

بلغ عدد الذين سمعوا الحديث من عمرو بن دينار ٩٦ راوياً، ومن أشهرهم: سفيان بن عيينة وجعفر بن محمد الصادق وقتادة وشعبة وسفيان الثوري وابن جريج وحمام بن سلمة وحمام بن زيد ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبو عوانة الوضاح ووهب بن منبه ومعمّر بن راشد وغيرهم.

توفي عمرو بن دينار رحمه الله في مكة سنة ١٢٦ هجرية وعمره ٨٠ عاماً.

٥) أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي

محدث الكوفة، كان من العلماء العاملين، وكان من المجاهدين، غزا الروم ست غزوات.

قرأ القرآن على بعض أصحاب علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، ورأى علي بن أبي طالب يخطب، وروى عن ابن عباس والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة.

وكان أعلم الناس بحديث علي وابن مسعود، فقد روى عن أصحاب علي بن أبي طالب وابن مسعود وعن خلق كثير من كبراء التابعين، وكان شديد المحبة لعلي بن أبي طالب ولأهل البيت، وكان يُقال: من جالس أبا إسحاق فقد جالس عليا رضي الله عنه.

قال علي بن المديني: روى أبو إسحاق عن ثلاثمائة شيخ.

قال أبو حاتم: هو يشبه الزهري في الكثرة.

وكان أبو إسحاق من العباد، كان يقرأ القرآن في كل ثلاث، وقال محرضا للشباب على العبادة بعد أن كبرت سنه: يا معشر الشباب، اغتنموا - يعني: قوتكم وشبابكم - قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحرم، وثلاثة أيام من كل شهر، والاثنين، والخميس.

قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم: أبو إسحاق ثقة.

وقال علي بن المديني: دار حديث الثقات على ستة: رجلين بالبصرة، ورجلين بالكوفة، ورجلين بالحجاز؛ فأما اللذان في البصرة فقتادة ويحيى بن أبي كثير، وأما اللذان بالكوفة فأبو إسحاق والأعمش، وأما اللذان بالحجاز فالزهري وعمرو بن دينار.

بلغ عدد الذين سمعوا الحديث من أبي إسحاق السبيعي ١٥٢ راويا.

توفي أبو إسحاق رحمه الله في الكوفة سنة ١٢٨ هجرية وعمره ٩٣ عاما.

٦) يحيى بن أبي كثير البصري ثم اليمامي

رأى أنس بن مالك يصلي في الحرم، ولم يسمع من أحد من الصحابة، لكنه اجتهد في سماع الحديث من أعيان التابعين الذين أدركهم من أبناء الصحابة وأحفادهم وغيرهم من العلماء الذين حدثوه بالأحاديث النبوية عن الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقال: إنه بقي في المدينة النبوية عشر سنوات يطلب العلم، وقد بلغ عدد الرواة الذين روى عنهم الحديث ٩٤ راويا.

ذكره ابن حبان في كتابه الثقات وقال: هو من أهل البصرة سكن اليمامة، لم يسمع من أنس ولا من صحابي شيئا، وكان من العُباد، إذا رأى جنازة لم يتعش تلك الليلة، ولا قدر أحد من أهله أن يكلمه!

قال أيوب السخيتاني: ما أعلم أحدا بالمدينة بعد الزهري أعلم من يحيى بن أبي كثير.

وقال أحمد بن حنبل: هو من أثبت الناس، يُعد مع الزهري.

وقال الإمام البخاري في تاريخه الكبير: قال لنا موسى بن إسماعيل: سمعت وهيبا يقول: سمعت أيوب يقول: ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير.

وكان يحيى بن أبي كثير فقيرا صابرا، ورعا متواضعا، لم يترك حين مات إلا ثلاثين درهما كفنوه بها.

قال الأوزاعي: حدثني يحيى بن أبي كثير قال: ست من كن فيه فقد استكمل الإيمان: قتال أعداء الله بالسيف، والصيام في الصيف، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، والتبكير بالصلاة في يوم الغيم، وترك الجدال والمرء وأنت تعلم أنك صادق، والصبر على المصيبة.

وذكر أهل العلم أن يحيى بن أبي كثير ضُرب لكونه انتقص بعض الولاة الظلمة من بني أمية، قال أبو حاتم الرازي: هو إمام لا يروي إلا عن ثقة، وقد نالته محنة وضُرب لكلامه في ولاة الجور.

قال مؤرخ الإسلام الذهبي: يحيى بن أبي كثير الإمام الحافظ، أحد الأعلام، كان طَلَّاباً للعلم، حُجة.

وقال الحافظ ابن رجب: كان يحيى بن أبي كثير أحد الأئمة الربانيين، والحفاظ المتقنين.

بلغ عدد الذين سمعوا الحديث من يحيى بن أبي كثير ٦١ راويا.

ونختم هذه الترجمة المختصرة بثلاث نصائح عظيمة من يحيى بن أبي كثير لطلاب العلم:

قال الإمام مسلم في صحيحه: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير قال: سمعت أبي يقول: لا يُستطاع العلم براحة الجسم.

وقال يحيى بن أبي كثير: ميراث العلم خير من ميراث الذهب.

وقال يحيى بن أبي كثير: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل.

توفي يحيى بن أبي كثير رحمه الله سنة ١٢٩ هجرية، ولم يذكر علماء الرجال المتخصصون في بيان أخبار الرواة سنة مولده، ولا مقدار عمره حين وفاته.

٧) سليمان بن مهران الأعمش الكوفي

الإمام الحافظ، شيخ المقرئين والمحدثين، رأى الصحابي الجليل أنس بن مالك، وروى عن ١٨٩ شيخا من كبار التابعين وغيرهم.

قال سفيان بن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض.

وقال أبو بكر بن عياش: كان الأعمش يعرض القرآن، فيمسكون عليه المصاحف فلا يخطئ في حرف!

ومن شيوخ الأعمش في القرآن: عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة، ومن طلاب الأعمش في القرآن: حمزة الزيات أحد القراء السبعة، فقد عرض الأعمش القرآن على عاصم، وعرض حمزة الزيات القرآن على الأعمش.

قال يحيى القطان: كان الأعمش من العباد، وكان محافظا على الصلاة في جماعة، وعلى الصف الأول، وهو علامة الإسلام.

وقال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبا من سنتين فما رأيته يقضي ركعة!

وكان الأعمش شديد المحبة لعلي بن أبي طالب وآل البيت، وهو راوي الحديث المشهور الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه رقم (٧٨) من طريق الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: قال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يُجني إلا مؤمن، ولا يُغضني إلا منافق.

وكان الأعمش فقيرا صبورا، لا يأبه بالأغنياء والأمرء، ويجانب السلطان، ولا يحدث بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا من يراه أهلا لها، أرسل إليه أمير الكوفة بألف درهم وصحيفة ليكتب له فيها حديثا واحدا فأبى الأعمش أن يكتب للأمير، وبعث إليه: أظننت أني أبيع الحديث؟!!

قال ابن المديني: للأعمش نحو من ألف وثلاثمائة حديث.

وقد كان الأعمش أعلم الناس بأحاديث عبد الله بن مسعود وأقواله وفتاويه.

قال يحيى بن معين: أجود الأسانيد: الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود.

وروى الأعمش مئات الأحاديث النبوية عن أبي صالح السَّمَّان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى الأعمش أحاديث علي بن أبي طالب عن أصحاب أصحابه، فمثلاً: يروي الأعمش عن أبي إسحاق السبيعي عن شيوخه من التابعين الذين سمعوا علياً عن أبي طالب رضي الله عنه.

وروى الأعمش أحاديث عبد الله بن عباس عن أصحاب أصحابه، فمثلاً: يروي الأعمش عن مسلم البطين وعمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى الأعمش أحاديث أم المؤمنين عائشة عن شيوخه عن التابعين الذين سمعوا من عائشة، فمثلاً: يروي الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن مسروق بن الأجدع الهمداني عن عائشة رضي الله عنها.

قال عمرو بن علي: كان الأعمش يُسمَّى المصحف من صدقه.

وقال ابن عمار الموصلي: ليس في المحدثين أثبت من الأعمش.

وقال أحمد العجلي: كان الأعمش ثقة ثبتاً في الحديث، وكان يحدث أهل الكوفة في زمانه.

وقال الذهبي: كان الأعمش رأساً في العلم النافع والعمل الصالح.

أقرأ الأعمش الناس القرآن الكريم ونشر السنة النبوية دهرًا طويلاً، وبلغ عدد طلابه الذين رَوَوْا عنه الأحاديث النبوية ٢٢٥ راوياً.

وكان الأعمش مع جلالته في العلم والفضل صاحب مزاح، وله في ذلك حكايات مشهورة.

توفي الأعمش رحمه الله في الكوفة سنة ١٤٨ هجرية وعمره ٨٧ عاماً.

٨) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي

الإمام، العلامة، الحافظ، العابد، شيخ الحرم، كان من فقهاء أهل مكة وقرائهم، ممن جمع العلم وحفظه، وهو أول من دوّن العلم بمكة.

روى ابن جريج القراءة عن عبد الله بن كثير المكي أحد القراء السبعة المشهورين.

وروى الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم عن ٢٠٠ شيخ، منهم: التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح مفتي مكة في زمانه وعمرو بن دينار والزهري ونافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة بن الزبير بن العوام والباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجعفر الصادق بن محمد الباقر ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وغيرهم من التابعين وأتباع التابعين.

وبلغ عدد طلابه الذين أخذوا عنه العلم ١٥٥ راويا، ومن أشهر طلابه: عبد الرزاق الصنعاني والأوزاعي والليث بن سعد ووكيع بن الجراح وأبو عاصم النبيل والسفيانان: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والحمّادان: حماد بن زيد وحماد بن سلمة.

قال ابن جريج: كنت أتتبع الأشعار العربية والأنساب، فقليل لي: لو لزمت عطاء، فلزمته.

قال ابن جريج: أتيت عطاء، وأنا أريد هذا الشأن، وعنده عبد الله بن عُبيد بن عُمير، فقال لي ابن عُمير: قرأت القرآن؟ قلت: لا. قال: فاذهب فاقرأه، ثم اطلب العلم. فذهبت، فغبرت زمانا حتى قرأت القرآن، ثم جئت عطاء وعنده عبد الله، فقال: قرأت الفريضة [أي: علم المواثيق]؟ قلت: لا. قال: فتعلم الفريضة، ثم اطلب العلم. قال: فطلبت الفريضة، ثم جئت. فقال: الآن فاطلب العلم. فلزمت عطاء سبع عشرة سنة! وجالست عمرو بن دينار بعد ما فرغت من عطاء تسع سنين!

قال علي بن المديني: لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج.

وقال ابن عيينة: سمعت ابن جريج يقول: ما دوّن العلم تدويني أحد.

قال مخلد بن الحسين: ما رأيت أصدق لهجة من ابن جريج.

وقال عبد الرزاق الصنعاني: ما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج، كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله.

وقال أبو عاصم النبيل: كان ابن جريج من العبّاد، كان يصوم الدهر، سوى ثلاثة أيام من الشهر، وكان له امرأة عابدة.

قال الذهبي: كان ابن جريج صاحب تعبد وتجدد، وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ.

وذهب ابن جريج إلى اليمن فنشر بها علما كثيرا، وكان غنيا شاكرا كريما، قال تلميذه عبد الرزاق الصنعاني: خرجنا معه وأتاه سائل، فناوله دينارا!

روى ابن جريج مئات الأحاديث النبوية عن شيخه عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عن جابر الأنصاري، وعن شيخه نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعن شيخه هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن خالته أم المؤمنين عائشة، وعن شيخه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وعن الزهري عن أنس بن مالك، وعن الزهري عن علي بن الحسين بن علي عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب.

وروى ابن جريج آلاف الآثار عن الصحابة والتابعين من أقوالهم في التفسير والفقه وفتاواهم وقضاياهم، ويكفي أن تعلم أن عبد الرزاق الصنعاني ذكر في مصنفه المشهور شيخه ابن جريج ٤٩٠٠ مرة، سواء في أسانيد مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو موقوفة إلى الصحابة أو مقطوعة إلى التابعين، وهذا عدد كثير جدا في كتاب واحد من كتب الحديث!

فصدق الإمام أحمد بن حنبل حين قال: كان ابن جريج من أوعية العلم.

وقال يحيى بن سعيد القطان: كنا نسمي كتب ابن جريج: كتب الأمانة.

قال الحافظ الذهبي: وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج التصانيف بمكة، وصنّف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، وصنّف الأوزاعي بالشام، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة، وصنّف ابن إسحاق المغازي، وصنّف معمر باليمن، وصنّف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة، وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع، ثم بعد يسير صنّف هشيم

كتبه، وصنّف الليث بمصر، وابن لهيعة، ثم ابن المبارك، وأبو يوسف، وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودُوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلمون على حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة، فسهل والله الحمد تناول العلم.

توفي ابن جريج رحمه الله في مكة سنة ١٥٠ هجرية وعمره ٧٠ عاما.

٩) مَعْمَرُ بنِ راشدِ البصري ثم الصنعاني

قال عنه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي: الإمام الحافظ، كان من أوعية العلم، مع الصدق، والتحري، والورع، والجلالة، وحسن التصنيف، وهو أول من صَنَّفَ في اليمن.

طلب مَعْمَرُ العلم في العراق والشام والحجاز، ثم رحل إلى اليمن ليسمع الأحاديث من علماء اليمن الذين أدركوا بعض الصحابة أو أدركوا التابعين، وهو أول من رحل إلى اليمن لطلب العلم، فأعجب به أهل صنعاء لعلمه وفضله وكرهوا أن يفارقهم فقالوا: قَيِّدُوهُ! فزَوَّجُوهُ ليبقى عندهم يُعَلِّمَهُم، فاستوطن صنعاء، وكان يزور أمه في البصرة ويرجع، وبقي في اليمن عشرين عاما حتى توفي.

وكان معمَر لا يقبل شيئا من أموال السلاطين، بعث إليه والي اليمن معن بن زائدة بذهب فردّه.

قال مَعْمَرُ: طلبت العلم سنة مات الحسن البصري يعني سنة ١١٠ هجرية.

وقال معمَر: سمعت من قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري.

قال أحمد بن حنبل: ما أضُم أحدا إلى معمَر إلا وجدت معمرا أطلب للحديث منه، هو أول من رحل إلى اليمن.

بلغ عدد شيوخ معمَر ٨٨ شيخا، منهم كبار الحفاظ في زمانه في البصرة والكوفة والمدينة ومكة.

قال علي بن المديني: جُمِعَ لمَعْمَر من الإسناد ما لم يُجْمَع لأحد من أصحابه: أيوب وقتادة بالبصرة، وأبو إسحاق والأعمش بالكوفة، والزهري وعمرو بن دينار بالحجاز، ويحيى بن أبي كثير.

وقد جمع معمَر ما سمع من كل واحد من شيوخه من الأحاديث، حتى صار حافظا مكثرا عنده من الحديث ما ليس عند بعض شيوخه وأقرانه، مما جعل بعض شيوخه يروي عنه بعض الأحاديث التي سمعها معمَر من شيوخ آخرين.

ومن شيوخ معمَر الذين حَدَّثُوا عنه: عمرو بن دينار ويحيى بن أبي كثير وأبو إسحاق السبيعي وأيوب السَّخْتِيَّاني.

وحدّث عن معمر كثير من أقرانه الذين زاملوه في طلب العلم فاحتاجوا أن يرووا عن معمر ما ليس عندهم من الحديث، كسفيان الثوري وشعبة وسعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي وابن جريج.

قال عبد الرزاق الصنعاني: سمعت ابن جريج يقول: عليكم بهذا الرجل -يعني: مَعْمَر- فإنه لم يبق في زمانه أعلم منه!

وقد روى عن معمر ٥٩ راويًا، ومن أشهر طلاب معمر الذين رووا عنه: عبد الرزاق الصنعاني وعبد الله بن المبارك وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة وهشام بن يوسف الصنعاني قاضي صنعاء.

ولمعمر كتاب مشهور اسمه جامع معمر، وهو مطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق الصنعاني، وهو من أول ما أُلّف من الكتب في الإسلام، وهو أقدم من موطأ مالك، وقد اشتمل جامع معمر على ١٦٤٥ حديثًا، بعضها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضها موقوف على الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم وأفعالهم وأخبارهم، وبعضها من أقوال التابعين في التفسير والفقه والزهد والآداب، وليست هذه كل أحاديث معمر، فقد قال تلميذه عبد الرزاق الصنعاني: كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث.

وقد عُدّت بواسطة برنامج المكتبة الشاملة ما رواه عبد الرزاق الصنعاني في كتبه الثلاثة: المصنف والتفسير والأُمالي، فوجدت أنه تكرر ذكر معمر فيها ٩٣٣٠ مرة تقريبًا.

وأسانيد معمر عالية، فينبه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم راويان أو ثلاثة فقط، فهو يروي عن الزهري عن أنس بن مالك، ويروي عن قتادة عن أنس، ويروي عن الزهري عن سهل بن سعد الساعدي، ويروي عن همام بن منبه اليماني عن أبي هريرة، ويروي عن أبي إسحاق السبيعي عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب، ويروي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، ويروي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ويروي عن عبد الله بن طاوس اليماني عن أبيه عن ابن عباس، ويروي عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة.

توفي مَعْمَر رحمه الله في صنعاء سنة ١٥٤ هجرية وعمره ٥٨ عامًا.

١٠) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الدمشقي

إمام أهل الشام في الحديث والفقه، وأول من دوّن العلم في الشام.

قال عنه ابن حبان: أحد أئمة الدنيا فقهها وعلمها وورعا وحفظا وفضلا وعبادة وضبطا مع زهادة.

وقال محمد بن سعد: كان خيرا، فاضلا، مأمونا، كثير العلم والحديث والفقه.

رحل الأوزاعي من الشام إلى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير، ثم رحل إلى البصرة ليسمع من الحسن البصري ومحمد بن سيرين؛ فوجد الحسن قد مات، ووجد ابن سيرين في مرض موته، فسمع الأوزاعي الأحاديث التي كان يرويها الحسن وابن سيرين من أصحاب الحسن وابن سيرين، وسمع من كثير من التابعين، وقد بلغ عدد شيوخ الأوزاعي ١٢٤ شيخا، منهم: قتادة بن دعامة وأبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن شهاب الزهري ومكحول الشامي وعمرو بن شعيب ونافع مولى ابن عمر.

وكان الأوزاعي ممن جمع بين العلم والعبادة والجهاد وتعليم الناس وقول الحق عند سلاطين الجور، وكان يسكن بدمشق ثم تحول في آخر عمره إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات.

قال أبو نعيم الأصبهاني: كان الأوزاعي ممن لا يخاف في الله لومة لائم، مقلّوا بالحق، لا يخاف سطوة العظماء!

ولما أراد بنو أمية من الأوزاعي أن يتولى القضاء امتنع فتركوه، ولما أدبر سلطان بني أمية وأقبل سلطان بني العباس ووقعت الفتنة والقتال على الملك اعتزل الأوزاعي الفتنة فلم يقم مع بني أمية لئيبّت ملكهم، ولا مع العباسيين ليعينهم على ثورتهم، ولم يحث الناس على القتال مع الأمويين ولا مع العباسيين، وله حكاية مشهورة مع الأمير عبد الله بن علي العباسي عم السفاح، ولما دعاه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وعظه وخوفه بالله وحذره من ظلم الرعية، وكان يبعث إليه الرسائل ليناصحه ويعظه.

واستمر الأوزاعي يُعلّم الناس العلم ويفتيهم ٤٤ سنة، وكان إذا رأى صغيرا في مجلسه يسأله عن حفظه القرآن، فإن كان حافظا للقرآن أذن له في الجلوس في حلقة بعد أن يحتبره في حفظه، وإن كان لا يحفظ القرآن قال له: اذهب تعلّم القرآن قبل أن تطلب العلم.

وقد بلغ عدد الرواة الذين سمعوا الحديث من الأوزاعي ١٢٣ راويا، منهم: أبو إسحاق الفزاري والوليد بن مسلم والوليد بن مَزَيْد وبقيّة بن الوليد وإسماعيل بن عياش وسفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وعبد الرزاق الصنعاني ووَكيع بن الجراح والمُعافى بن عمران.

وكان بعض أهل الشام يُبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان الأوزاعي يُعلّم الناس حب علي بن أبي طالب وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أقواله المشهورة في ذلك:

قال بقيّة بن الوليد الحِمصي: قال لي الأوزاعي: يا بقيّة! لا تذكر أحدا من أصحاب نبيك إلا بخير.

وقال الأوزاعي: لا يجتمع حب علي وعثمان رضي الله عنهما إلا في قلب مؤمن.

وكان الأوزاعي كثير العبادة، قال الوليد بن مسلم: ما رأيت أكثر اجتهدا في العبادة من الأوزاعي.

وقال الوليد بن مَزَيْد: كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوي عليه.

وقال الوليد بن مسلم الدمشقي: رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه، يذكر الله حتى تطلع الشمس، ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم، فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض فأفاضوا في ذكر الله، والتفقه في دينه.

وقال أبو مُسْهِرٍ الدمشقي: ما رُئي الأوزاعي ضاحكا حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يتبسم أحيانا - كما روي في الحديث - وكان يُحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاء.

وقال مروان الطاطري: قال الأوزاعي: من أطال قيام الليل هوّن الله عليه وقوف يوم القيامة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: إنما الناس في زماهم أربعة: حماد بن زيد بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام.

وقال الذهبي: الأوزاعي في الشاميين نظير مَعْمَرٍ لليمانيين، ونظير الثوري للكوفيين، ونظير مالك للمدنيين، ونظير الليث للمصريين، ونظير حماد بن سلمة للبصريين.

قال الخريبي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه.

وكان الأوزاعي حكيما ناصحا للأمة، وله كلام كثير فيه نصائح عظيمة، اخترت من كلامه ما يلي:

قال الأوزاعي: إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث فأياك أن تقول بغيره؛ فإنه كان مبلّغا عن الله.

وقال الأوزاعي: ندور مع السنّة حيثما دارت.

وقال الأوزاعي: اصبر على السنّة، وقف حيث وقف القوم، وقُل فيما قالوا، وكُفّ عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما يسعهم.

وقال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.

وقال الأوزاعي: العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي إسحاق الفزاري أن الأوزاعي كان يقول: خمسة كان عليها الصحابة والتابعون: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، والتلاوة، والجهاد.

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل، ومنعهم العمل.

وقال الأوزاعي: من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن علّم أن منطقته من عمله قل كلامه.

وقال الأوزاعي: إن المؤمن يقول قليلا ويعمل كثيرا، وإن المنافق يتكلم كثيرا ويعمل قليلا.

وقال الأوزاعي: كان يُقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات.

وقال الأوزاعي: العمائم تيجان العرب، اعتّموا تزدادوا حلما.

وكان الأوزاعي يعيش كفافا فلم يكن غنيا ولا فقيرا، ومات ولم يُخلّف أرضا ولا بيتا إلا ستة دنانير.

توفي الأوزاعي رحمه الله في بيروت سنة ١٥٧ هجرية وعمره ٧٠ عاما.

(١١) شُعبة بن الحجاج الواسطي البصري

قال مؤرخ الإسلام الذهبي: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، كان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه، وانتشر حديثه في الآفاق، وكان إماماً، ثباً، حجة، ناقداً، جهبذاً، صالحاً، زاهداً، قانعا بالقوت، رأساً في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من تكلم في رواية الحديث فجرح وعدّل. وقال الإمام الشافعي: لولا شعبة لما عُرف الحديث بالعراق.

وقال ابن حبان: كان شعبة ممن عنى بعلم السنن، وسعى في طلبها، وواظب على درسها، وداوم على الرحلة فيها، وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وإتقاناً وورعاً وفضلاً، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، حتى صار علماً يُقتدى به ثم تبعه عليه بعده أهل العراق.

وقال ابن رجب: شعبة هو أول من وسّع الكلام في الجرح والتعديل، واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقّب عن دقائق علم العلل، وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم. قال صالح بن محمد الحافظ: أول من تكلم في الرجال: شعبة بن الحجاج، ثم تبعه يحيى القطان، ثم تبعه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل.

ومشايع شعبة في الحديث كثيرون جداً، قال الحاكم: شعبة إمام الأئمة بالبصرة في معرفة الحديث، سمع الحديث من أربعمائة شيخ من التابعين. قلت: يُعلم من كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي أن عدد شيوخ شعبة ٤٥٩ شيخاً، وعدد الرواة الذين سمعوا منه الحديث ٢٣٧ راوياً.

ومن أشهر مشايخ شعبة: قتادة وأبو إسحاق السبيعي والأعمش وعمرو بن مرة وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجعفر الصادق.

وأعلى أسانيد شعبة يكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم راويان فقط، فهو يروي عن بعض شيوخه من التابعين عن الصحابة، مثل روايته عن قتادة عن أنس بن مالك، وروايته عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، وروايته عن أبي جمرة عن ابن عباس، وروايته عن أبي إسحاق السبيعي وعدي بن ثابت عن البراء بن عازب، وعن محمد بن زياد عن أبي هريرة.

وكان شعبة يجل من سمع منه حديثاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، قال يحيى بن سعيد القطان: قال لي شعبة: كل من كتب عنه حديثاً فأنا له عبد.

وكان شعبة يحزن إذا ذُكر له حديث لم يسمعه من مشايخه فيقول: واحزنانه.

وكان شعبة حريصا على نشر ما سمع من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويصبر على طلاب الحديث الذين كانوا يتوافدون إليه لسماع الحديث، قال أبو داود الطيالسي: سمعت من شعبة سبعة آلاف حديث، وقال الحافظ صالح بن محمد جزرة: يبلغ حديث شعبة نحو عشرة آلاف.

ومن أشهر الرواة عن شعبة: محمد بن جعفر الملقَّب عُندر، ويحيى بن سعيد القطان، وأبو داود الطيالسي، وأبو الوليد الطيالسي، وعبد الرحمن بن مهدي، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومعاذ بن معاذ التميمي البصري، وحفص بن عمر النمري البصري، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وسليمان بن حرب، ويزيد بن هارون، وآدم بن أبي إياس.

قال سفيان الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

وقال سليمان بن المغيرة: شعبة سيد المحدثين.

وقال الإمام أحمد: كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن.

وكان شعبة عالما بتفسير القرآن، ويحث طلاب الحديث على الاعتناء بكتاب الله، وينهاهم عن الانشغال بالحديث عن حفظ القرآن وتدبره.

وكان شعبة عالما بالشعر، قال شعبة: كان قتادة يسألني عن الشعر، فقلت له: أنشدك بيتا، وتحديثا.

وكان شعبة عابدا زاهدا كريما، يكثر من الصيام أبدا، وإذا صلى يطيل الصلاة جدا، قال البكرائي: ما رأيت أحدا أعبد الله من شعبة، لقد عبدَ الله حتى جفَّ جلدُه على عظمِه واسودَّ.

وقال عبد السلام بن مطهر: ما رأيت أحدا أعمن في العبادة من شعبة رحمه الله.

وقال يحيى بن معين: شعبة إمام المتقين.

وقال يحيى القطان: كان شعبة من أرق الناس، يعطي السائل ما أمكنه.

وقال النضر بن شميل: ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة.

وقال مسلم بن إبراهيم: كان شعبة إذا قام سائل في مجلسه لا يُحدّث حتى يُعطى أو يُضمّن له.

وكان حماد بن زيد إذا حدّث عن شعبة قال:

حدثنا الضخم عن الضخام ... شعبة الخير أبو بسطام

توفي شعبة رحمه الله في البصرة سنة ١٦٠ هجرية وعمره ٧٥ عاما.

١٢) سفيان بن سعيد الثوري الكوفي

قال مؤرخ الإسلام الذهبي: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري، الكوفي، المجتهد، كان رأساً في الزهد، والتأله، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين.

وقال الخطيب البغدادي: كان سفيان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مُجمعا على إمامته بحيث يُستغنى عن تركيته، مع الإتقان، والحفظ، والمعرفة، والضبط، والورع، والزهد.

طلب سفيان الثوري العلم وهو صغير باعتهاء والده، وكانت أمه تحته على طلب العلم والعمل به.

ورحل سفيان في طلب الحديث يتتبع الرواة ويكتب ما روى من الأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، وخرج للجهاد في سبيل الله فربط بعسقلان أربعين يوماً.

ومشايع الثوري في الحديث كثيرون جداً، وكبار شيوخه حدثوه عن بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وجابر وأنس بن مالك وسهل بن سعد، فيكون بينه وبين الرسول راويان فقط، وأكثر أحاديثه يكون بينه وبين الرسول ثلاثة رواة أو أربعة، وبلغ عدد شيوخ الثوري ٥١٦ شيخاً.

ومن أشهر مشايخ الثوري: سليمان الأعمش ومنصور بن المعتمر وجعفر بن محمد الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة وحمزة الزيات أحد القراء السبعة أيضاً، وقد عرض الثوري القرآن من أوله إلى آخره على شيخه حمزة الزيات أربع مرات.

واشتهر الثوري منذ صغره لفرط ذكائه وحفظه، وكان يحفظ ما يكتب من الحديث، ويتعاهد الأحاديث التي كتبها عن مشايخه كما يتعاهد القرآن ليستمر متقناً لها، قال سفيان: ما استودعتُ قلبي شيئاً قط فخانني. قال شيخه ابن أبي ذئب: ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان الثوري، ورآه يوماً شيخه أبو إسحاق السبيعي وهو مقبل فقرأ قوله تعالى: {وَاتَيْنَاهُ الْحَكَمَ صَبِيحاً}.

وحدَّث سفيان وهو شاب، وجلالته وكثرة حديثه حدَّث عنه كثير من شيوخه مثل: الأعمش، وابن جريج، وجعفر الصادق، وأبو حنيفة، والأوزاعي، ومُعمر بن راشد، فرووا عنه بعض الأحاديث، وكلهم ماتوا قبله.

وعدد الرواة الذين سمعوا الحديث من سفيان الثوري ٢٧٣ راويا، وأتقن طلابه: يحيى بن سعيد القطان ووکیع بن الجراح وعبد الله بن المبارك وعبد الرحمن بن مهدي وأبو نُعَيم الفضل بن دُكين.

قال عبد الله بن المبارك: كتبت الحديث عن ألف ومائة شيخ، ما كتبت عن أفضل من سفيان، ولا أعلم على الأرض أعلم من سفيان.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت عيناى مثل أربعة: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري، ولا أشد تقشفا من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك.

وقال شعبة وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

وقال شعبة: سفيان الثوري أحفظ مني، وقال: ساد سفيان الناس بالورع والعلم.

وقال الحافظ صالح بن محمد جزرة: سفيان ليس يتقدمه عندي أحد، يبلغ حديثه ثلاثين ألفا.

وقال الأشجعي: سمعت من الثوري ثلاثين ألف حديث.

وقال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان أحدا في زمانه في الفقه، والحديث، والزهد، وكل شيء.

وكان سفيان الثوري من كبار الفقهاء المجتهدين، قال زائدة بن قدامة: سفيان أفقه أهل الدنيا.

وقال ابن عيينة: ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري.

وكان سفيان يتجر ولا يقبل المال من الملوك والأمراء، ولما راوده الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي على تولي القضاء هرب من بلده الكوفة؛ فغضب عليه المنصور.

ونظر رجل إلى سفيان وفي يده دنانير، فقال: يا أبا عبد الله! تمسك هذه الدنانير؟! قال: اسكت، فلولاها لتمنل بنا الملوك.

قال ابن يمان: ما رأيت مثل سفيان، أقبلت الدنيا عليه فصرف وجهه عنها.

وكان سفيان مجتهدا في العبادة، يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ويطيل السجود جدا، وإذا سمع المحدثون يتذكرون الحديث ترك النافلة وحضرهم، فقد كان حريصا جدا على إتقان حديثه، وكان ينام أول الليل فإذا استيقظ من الليل لم يعد للنوم وصلى ما كتب الله له.

وكان سفيان عالما بالقرآن وتفسيره، وله كتاب في التفسير مطبوع باسم تفسير سفيان الثوري.

وقال سفيان: الحديث خير علوم الدنيا، وما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وكان سفيان الثوري كثير المحبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد كان جدُّ سفيان الثوري - واسمه مسروق - من جند علي بن أبي طالب.

قال سفيان لبعض تلامذته: إذا كنت بالشام فاذكر مناقب علي، وإذا كنت بالكوفة فاذكر مناقب أبي بكر وعمر. وهذا من حكمة سفيان في الدعوة ونشر العلم؛ لأن كثيرا من أهل الشام كانوا يجهلون فضائل علي وربما أبغضوه، وكان كثير من أهل الكوفة يجهلون فضائل أبي بكر وعمر، وربما فضّلوا عليهما عليا، فأمر سفيان أن يُعلّم كل قوم بما يحتاجون إليه من العلم ليعتدلوا.

وقال الثوري: لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال.

وقال محمد بن يوسف الفريابي: سمعت سفيان يقول: إن قوما يقولون: لا نقول لأبي بكر وعمر إلا خيرا، ولكن عليّ أولى بالخلافة منهما، فمن قال ذلك فقد خطأ أبا بكر وعمر وعليا والمهاجرين والأنصار!

وقال الثوري: من قدّم على أبي بكر وعمر أحدا فقد أزرى على اثني عشر ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي رسول الله وهو عنهم راض.

وكان سفيان الثوري كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكاد لسانه يفتر من ذلك، وكان يحزن أشد الحزن إن رأى منكرا ولم يتكلم، وكان ينكر على الملوك وينصحهم، ولا يرى الخروج عليهم.

وكان إذا دخل عليه الملوك والأمراء أو أُدخل عليهم يعظهم، ويأمرهم بالتقليل من النفقة على أنفسهم والإكثار من الصدقة على رعيتهم، وكان لا يسألهم شيئاً لنفسه، وقال: ليس أخاف إهانتهم، إنما أخاف كرامتهم فلا أرى سيئتهم سيئة!

ومن كرامات الثوري ما حكاه تلميذه عبد الرزاق الصنعاني أن الخليفة أبا جعفر المنصور لما توجه للحج أمر جنده بقتل سفيان الثوري وصلبه، فدعا سفيان الله أن لا يدخل أبو جعفر المنصور مكة، فاستجاب الله دعاءه فمات أبو جعفر في الطريق قبل أن يدخل مكة! قال الذهبي: هذه كرامة ثابتة.

ولما أُدخل سفيان الثوري على الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور قال له: ارفع إلينا حاجتك. فقال له سفيان: قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً فاتق الله. فطأطأ الخليفة رأسه، ثم قال: رأيت إن لم أستطع دفعه؟ قال: تخليه وغيرك. فطأطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتك. فقال سفيان: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم، فطأطأ رأسه.

وكان سفيان متواضعاً مع عامة الناس وطلاب العلم، ومقرّباً للفقراء والضعفاء، وكان على ورعه وزهده يمزج مع جلسائه ويضحك أحياناً.

وكان سفيان شديد الخوف جداً من الله، قال ابن مهدي: كنا نكون عنده فكأنما وُقِفَ للحساب، وكنت أرمق سفيان الليلة بعد الليلة ينهض مرعوباً ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، وكنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه.

وقال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت، ما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه.

وقال أحمد بن يونس: سمعت الثوري ما لا أحصيه يقول: اللهم سلّم سلّم، اللهم سلّمنا، وارزقنا العافية في الدنيا والآخرة.

قال ابن حبان: كان سفيان من الحفاظ المتقنين، والفقهاء في الدين، ممن لزم الحديث والفقه، وواظب على الورع والعبادة، ولم يبال بما فاته من حطام هذه الفانية الزائلة مع سلامة دينه.

توفي سفيان الثوري رحمه الله في البصرة وهو محتفٍ من الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦١ هجرية وعمره ٦٣ عاماً.

وقبل وفاة سفيان الثوري أمر بدفن أوراقه التي كتب فيها الأحاديث التي سمعها من شيوخه بأسانيدهم، وكانت صحفا كثيرة كتبها لنفسه وقت طلبه العلم، وكان قد حفظها في صدره وأبقاها سنين طويلة يتعاهدها بالمراجعة، ولا ضير عليه في دفنها؛ لأنه قد حدّث طلابه بتلك الأحاديث، ونشر العلم الذي فيها، وهكذا فعل غير واحد من المحدثين، دفنوا الأوراق التي كتبوا فيها أحاديثهم وقت طلبهم العلم بعد أن اطمئنوا بأنها صارت محفوظة عند طلابهم، وإنما كتبوها لأنفسهم للمراجعة لا تأليفا لغيرهم، ولذلك لم يكتبوها مرتبة، ولم يحرصوا عند كتابتها وقت سماعها من شيوخهم أن تكون مكتوبة بخط حسن متقن، وكان الطالب في أول طلبه العلم لا يميز بين الصحيح والضعيف والموضوع والخطأ والوهم، فيكتب كل شيء في أوراقه ودفاته، كما قيل: إذا كتبت فقمّش، وإذا حدّثت ففتّش، ثم مع توسع الطالب في العلم وكثرة محفوظاته وجمعه طرق الحديث ولقائه الحفاظ المشهورين ومذاكرته النقاد المتقنين يتميز له الصحيح من الضعيف، والصواب من الخطأ، وكان في تلك الأوراق التي كتبها الطالب مبكرا في وقت طلبه العلم كل الأحاديث التي سمعها من غير تمييز، وكان المحدث بعد أن يتضلع من العلم يعلم ما في أوراقه من صحيح وضعيف وخطأ ووهم، ويعلم الأحاديث التي ينبغي أن يرويها والتي لا يصح أن يرويها، وقد تكون كتب المحدث القديمة صحفا كثيرة جدا في دفاتر متعددة أو في أوراق مفرقة، وكان الحفاظ المتقنين يخشون إن بقيت تلك الدفاتر والأوراق بعد موتهم أن يقرأها أحد فيخطئ في قراءتها أو ينسخها ناسخ فيخطئ في نقلها، فقد كان المحدثون رحمهم الله يحافظون على الأوراق التي كتبوا فيها أحاديث شيوخهم أشد المحافظة، ويتعاهدونها بالمراجعة، ولا يُمكنون أحدا منها إلا طالب علم ينقلها إلى أوراقه ثم يردها إليهم ويقرأ عليهم ما كتبه حديثا حديثا ليصححوا له ما قد يخطئ في كتابته أو في قراءته، وكان كثير من المحدثين في مجالس سماع الحديث يقرأون من أوراقهم الأحاديث التي لا يحفظونها غيبا أو يخشون من الخطأ فيها لطولها أو لعدم إتقانهم لحفظها، وبهذا حُفِظت الأحاديث النبوية في الصدور وفي السطور، وانتقلت إلينا من جيل إلى جيل.

ولم يذم أهل العلم من دفن كتبه من المحدثين في آخر حياته، بعد أن استعان بها في ضبط حديثه، ورواها بإتقان وتمييز، وإنما ذموا من دفنها في حال قوته وصحته قبل أن يتقنها ويحدث بما فيها.

قال الذهبي: فعل هذا بكتبه - من الدفن والغسل والإحراق - عدة من الحفاظ خوفا من أن يظفر بها محدّث قليل الدين، فيغير فيها، ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحافظ، أو أن أصوله كان فيها مقاطيع

وواهيات ما حدّث بها أبداً، وإنما انتخب من أصوله ما رواه وما بقي، فرغب عنه، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام، وهو دال أنهم لا يرون نقل العلم وجادة، فإن الخط قد يتصحّف على الناقل، وقد يمكن أن يُراد في الخط حرف، فيُغيّر المعنى.

وقال عبد الرحمن المعلمي: وقد فعل ذلك جماعة من أهل الورع، كانوا يرون أن حفظ الحديث وروايته فرض كفاية، وأن في غيرهم من أهل العلم من يقوم بالكفاية وزيادة، ويرون أن التصدي للرواية مع قيام الكفاية بغيرهم لا يخلو من حظ النفس بطلب المنزلة بين الناس، ومن أولئك يوسف بن أسباط، الذي احتاج بعد أن دفن كتبه أن يحدث من حفظه، فكان يخطيء في روايته، فضغفه أهل العلم.

وأما سفيان الثوري فقد دفن كتبه القديمة في آخر حياته، بعد أن أتقنها ورواها، وكانت أحاديثه نحو ثلاثين ألفاً كما تقدم، وهي تشمل كل ما رواه عن شيوخه من أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة والتابعين وأتباعهم في التفسير والفقه والزهد.

وأحاديث سفيان الثوري محفوظة في كتب طلابه وطلاب طلابه الذين ألفوا كتباً مصنفة، ورتبوا فيها الأحاديث على الأبواب أو المسانيد أو التفسير، وقصدوا بتأليفها حفظ العلم؛ ولذلك أذنوا لطلابهم بنسخ كتبهم المصنّفة، وقراءها على طلابهم أو قرأها طلابهم عليهم حديثاً حديثاً، فمن طلاب سفيان الثوري المصنّفين الذين وصلت إلينا كتبهم، وفيها روايتهم عن الثوري مباشرة بلا واسطة:

عبد الله بن المبارك والمعافى بن عمران ووكيعة بن الجراح والفضل بن دكين وعبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف المشهور المطبوع في عشرة مجلدات، وفيه ١٩٤١٨ حديثاً نبوياً وآثراً عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، وقد أحصيت ما فيه من رواية عبد الرزاق عن سفيان الثوري فبلغ ٤٢١٢ حديثاً وآثراً، وفي تفسير عبد الرزاق الصنعاني المطبوع في ثلاثة مجلدات ٣٢٣ رواية عن الثوري.

ومن أشهر طلاب أصحاب سفيان الثوري الذين أكثروا من الرواية عن سفيان الثوري بواسطة شيوخهم:

الحافظ المشهور ابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥ هجرية صاحب المصنف المشتمل على ٣٧٩٤٣ رواية، والإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هجرية مصنف المسند المشتمل على ٢٧٦٤٧ حديثاً، والإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية مصنف الصحيح المشتمل على ٧٥٦٣ حديثاً، فكل واحد من هؤلاء الحفاظ الثلاثة بينه وبين سفيان الثوري راو واحد فقط!

فرحم الله المحدثين، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فبهم حفظ الله دينه، وأحاديث نبيه،
والفضل في ذلك لله وحده.

ونختم ترجمة الإمام الثوري بما أنشده الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث لبعض الشعراء
الذين هجوا أهل البدع وبينوا فضل أهل الحديث:

هَلْ هُمْ يَا قَوْمٍ فِي بَدْعَتِهِمْ ... مِنْ فَقِيهِ أَوْ إِمَامٍ يُتَّبَعُ

مِثْلَ سُفْيَانَ أَحْيَى ثَوْرَ الَّذِي ... عَلَّمَ النَّاسَ دَقَائِقَاتِ الْوَرَعِ

١٣ حمّاد بن سلمة البصري

قال ابن حبان في كتابه مشاهير علماء الأمصار: حماد بن سلمة من عباد أهل البصرة ومتقنيهم، ممن لزم العبادة والعلم والورع ونُصرة السنة.

وقال ابن عدي: حماد بن سلمة من أجلة المسلمين، وهو مفتي البصرة ومحدثها ومقرئها وعابدها.

وقال عنه الذهبي: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، كان بحرا من بحور العلم، وكان مع إمامته في الحديث إماما كبيرا في العربية، فقيها، فصيحا، رأسا في السُّنة، صاحب تصانيف، وكانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد.

وقال عنه الحافظ ابن رجب: الإمام الرباني العالم بالله، والعالم بأمر الله، الفقيه، الزاهد، العابد، وهو ثقة ثقة، من أصلب الناس في السُّنة؛ ولذلك قال يحيى بن معين: من ذكره بسوء فاتهمه على الإسلام، وأثنى عليه الأئمة ثناء عظيما.

سمع حماد بن سلمة الحديث من ١٦٨ شيخا، ومن أشهر مشايخه: ابن أبي مُليكة وثابت البناني ومُحمّد الطويل - وهو خال حماد - وقتادة بن دعامة وعمرو بن دينار وأيوب السختياني.

قال أحمد بن حنبل: أعلم الناس بثابت البناني حماد بن سلمة، وهو أثبتهم في مُحمّد الطويل.

وكان حماد من حفاظ القرآن، وقد روى القراءة عن قارئين مشهورين من القراء السبعة، وهما: عبد الله بن كثير المكي وعاصم بن أبي النجود الكوفي.

وبلغ عدد طلاب حماد ١٥٢ طالبا، وقد حدّث عنه ابن جريج ومحمد بن إسحاق وشعبة وهم أكبر منه سنا، وروى عنه كبار الأئمة مثل سفيان الثوري ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك ومالك بن أنس وعفان بن مسلم الصفاري.

ولم يكن حماد مقتصرًا على علم القرآن والحديث والفقه، بل كان أيضا نَحْوِيًا كبيرًا، فقد أخذ علم النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وحماد بن سلمة هو الذي علّم النحو يونس بن حبيب النحوي المشهور شيخ سيبويه والكسائي والفراء، ومن طلاب حماد بن سلمة أيضا الأصمعي اللُّغوي المشهور.

وكان حماد يحث طلاب الحديث على تعلم النحو، وهو السبب في اشتغال تلميذه سيبويه بالنحو، وذلك أن سيبويه كان في أول أمره يطلب الحديث، وكان يوماً في حلقة شيخه حماد يسمع منه الحديث فأخطأ في الإعراب، حيث قال سيبويه: أبو الدرداء، وكان الصواب أن يقول: أبا الدرداء، فقال له حماد: أخطأت يا سيبويه! فقال سيبويه: لا جرم لأطلبنَّ علماً لا تُلحّني فيه أبداً، فطلب سيبويه علم النحو، ولزم الخليل بن أحمد حتى صار سيبويه إمام النحاة، وألّف أشهر كتاب في النحو وهو الكتاب المسمى كتاب سيبويه.

وكان حماد بن سلمة ممن جمع بين العلم النافع والعمل الصالح والزهد والقناعة والاجتهاد في العبادة، وكان يبيع البز في السوق، فإذا ربح ما يقوته اكتفى به وخرج من السوق.

قال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً لصدقت، كان مشغولاً، إما أن يُحدّث، أو يقرأ، أو يُسَبِّح، أو يصلي، قد قسّم النهار على ذلك.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحامد بن سلمة: إنك تموت غداً، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً!

وكان حماد بن سلمة لا يُحدث طلابه بحديث في مجلس السماع حتى يقرأ أولاً مائة آية نظراً في المصحف.

قال عفان بن مسلم: ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله من حماد بن سلمة.

وكان حماد بن سلمة ينهى طلابه عن الدخول على الملوك والأمراء ويشدد في ذلك جداً، حتى قال: إن دعاك الأمير لتقرأ عليه: {قل هو الله أحد} فلا تأته.

وقد روى حماد أكثر من عشرة آلاف من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار عن الصحابة والتابعين، وكان حماد متقناً لتلك الروايات، وكان يرويهما لطلابه في مجالس السماع من حفظه من غير أن ينظر في كتبه، لكنه لما طال عمره قلَّ إتقانه، وحصلت له بعض الأوهام في بعض متون الأحاديث والأسانيد، وقد بين علماء الحديث النقاد تلك الأخطاء القليلة في حديث حماد بن سلمة.

قال البيهقي: حماد بن سلمة أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه.

وقال الذهبي: له أوهام في سعة ما روى، وهو صدوق حجة.

فالمحدثون رحمهم الله لا يحابون أحدا، لا قريبا ولا بعيدا، ولا حبيبا ولا بغیضا، والعبرة عندهم في قبول الحديث بالحفظ والعدالة وترك المخالفة، فعندما جمع المحدثون أحاديث حماد بن سلمة وقارنوها بروايات غيره من الرواة المعاصرين له، الذين شاركوه في السماع من شيوخه؛ وجدوا أن حماد بن سلمة أخطأ في بعض المتون والأسانيد، بدليل مخالفته فيها لغيره من الرواة الثقات، ولم يتابعه على رواياته التي أخطأ فيها أي متابع من أقرانه عن شيوخه، ولا عن شيوخ شيوخه، فظهر للمحدثين غلطه في تلك الأسانيد والمتون، وبينوا في كتبهم أخطاء حماد فيها، وسردوها حديثا حديثا، وإن كانوا يحبونه ويحفظونه، لكن الحديث النبوي أحب إليهم وأجل، وهذا من نصح علماء الحديث لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين.

وأعلى أسانيد حماد بن سلمة يكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم راويان فقط، فهو يروي عن بعض التابعين عن الصحابة، ومن أشهر الرباعيات التي في صحيح مسلم ما يرويه الإمام مسلم عن بعض مشايخه عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

توفي حماد بن سلمة في البصرة وهو يصلي في المسجد سنة ١٦٧ هجرية وعمره ٧٦ عاما.

١٤) زهير بن معاوية أبو خيثمة الجعفي الكوفي

قال الإمام أحمد بن حنبل: زهير بن معاوية من معادن العلم.

وقال أحمد بن حنبل أيضا: عِلْمُ الناس إنما هو عن شعبة، وسفيان الثوري، وزائدة بن قدامة، وزهير، هؤلاء أثبت الناس، وأعلم بالحديث من غيرهم.

وقال ابن حبان: كان زهير حافظا متقنا، وكان أهل العراق يقولون في أيام الثوري: إذا مات الثوري ففي زهير خَلَفَ، وكانوا يقدمونه في الإتقان على غيره من أقرانه.

وقال العجلي: ثقة، ثبت، مأمون، صاحب سَنَّةٍ وَاتِّبَاعٍ، وكان يُحَدِّثُ من كتابه.

وقال الذهبي: زهير بن معاوية الحافظ، الإمام، المجوّد، أبو خيثمة الجعفي، الكوفي، كان من أوعية العلم، صاحب حفظ وإتقان.

روى زهير العلم والأحاديث عن ١٠٤ من المشايخ، ومن أشهر مشايخه: أبو إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، وأبو الزبير المكي، وحميد الطويل، وسليمان الأعمش، وهشام بن عروة بن الزبير بن العوام، وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة.

وعدد الذين رووا عنه الحديث ٨٦، ومن أشهرهم: ابن جريج، وابن إسحاق - وهما من شيوخه - وزائدة بن قدامة وهو من أقرانه، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو داود الطيالسي، وأبو الوليد الطيالسي، وأبو نعيم الفضل بن دكين، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وعلي بن الجعد، وسعيد بن منصور.

وأعلى أسانيد زهير يكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم راويان فقط، فهو يروي عن بعض شيوخه من التابعين عن الصحابة، مثل روايته عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم والبراء بن عازب، وعن حميد الطويل عن أنس بن مالك، وعن أبي الجويرية عن ابن عباس، وعن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير وجابر بن سمرة، وعن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله.

وفي بعض الأسانيد يكون بين زهير وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة، مثل روايته عن أبي إسحاق السبيعي عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب، وعن أبي إسحاق عن عمرو بن عبد الله

الأصم عن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، وعن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن خالته عائشة أم المؤمنين.

ونختم ترجمة زهير بن معاوية بما ذكره بعض العلماء المصنفين في الجرح والتعديل باختصار ليطلع القارئ على منهج علماء الحديث في ترجمة الرواة، ليعلم شيئا من جهود المحدثين العظيمة في حفظ أنساب الرواة وذكر أحوالهم خدمة للسنة النبوية:

قال الحافظ ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية في كتابه القيم (الطبقات الكبرى) الذي ترجم فيه لـ ٤٧٢٥ راويا من رواة الحديث الثقات والضعفاء، وهو مطبوع في ٨ مجلدات: زهير بن معاوية بن حُذَيْج بن الرُّحَيْل بن زهير بن خيثمة بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن حريم بن جُعْفِي بن سعد العشيرة من مذحج. ويكنى زهير أبا خيثمة، تحول إلى الجزيرة فنزلها حتى توفي بها.

أخبرنا عمرو بن خالد المصري قال: سمعت سعيد بن منصور يثني عليه خيرا ويأمر بالكتابة عنه. وكان ثقة ثبتا مأمونا كثير الحديث.

وقال الإمام مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هجرية في كتابه المفيد (الكنى والأسماء) الذي ذكر فيه كنى ٣٨٠٤ راويا من رواة الحديث: أبو خيثمة زهير بن معاوية بن حُذَيْج الجُعْفِي، سمع أبا الزبير وأبا إسحاق، روى عنه ابن المبارك وأبو نُعَيْم ويحيى بن يحيى.

وقال الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية في كتابه العظيم (الجرح والتعديل) الذي يعتبر من أهم كتب الجرح والتعديل، وقد ترجم فيه لـ ٢٣٨٣ راويا، وهو مطبوع في ٩ مجلدات: زهير بن معاوية بن حُذَيْج بن الرُّحَيْل بن زهير بن خيثمة أبو خيثمة الجُعْفِي، روى عن أبي إسحاق الهمداني وأبي الزبير، روى عنه أبو نُعَيْم وأبو الوليد، سمعت أبي يقول ذلك [وأبوه هو الحافظ الكبير أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي المتوفى سنة ٢٧٧ هجرية].

حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني قال: سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول: سمعت بشر بن عمر يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: عليك بزهير بن معاوية فما بالكوفة مثله.

وقال الحافظ ابن شاهين المتوفى سنة ٣٨٥ هجرية في كتابه (تاريخ أسماء الثقات): أخبرنا مكرم بن أحمد قال: أخبرنا يزيد بن الهيثم قال: قال يحيى بن معين: زهير بن معاوية ثقة مأمون.

وقال أبو الفضل الهروي المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية في كتابه (المعجم في مشتبه أسامي المحدثين) الذي خصه لبيان الأسماء المتشابهة: أبو خيثمة زهير اثنان، الأول: زهير بن معاوية بن خديج الجعفي، سمع أبا الزبير وأبا إسحاق، روى عنه عبد الله بن المبارك وأبو نعيم ويحيى بن يحيى. والآخر: زهير بن حرب النسوي سكن بغداد، يروي عن سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح، روى عنه مسلم بن الحجاج وأبو يعلى الموصلي.

توفي زهير بن معاوية رحمه الله في الجزيرة سنة ١٧٣ هجرية وعمره نحو الستين.

والمراد بالجزيرة مدينة تقع على نهر دجلة تعرف بجزيرة ابن عمر، نسبة إلى بانيها الحسن بن عمر التغلبي، وكان نهر دجلة يحيط بهذه المدينة من ثلاث جهات شبه الهلال فسميت الجزيرة.

١٥) الليث بن سعد المصري

قال أحمد بن حنبل: الليث ثقة، ثبت في حديثه جدا، كثير العلم، صحيح الحديث، ما في المصريين أثبت من الليث، ما أصح حديث ليث بن سعد!

وذكره محمد بن سعد في كتابه الطبقات الكبرى في الطبقة الخامسة من أهل مصر وقال: كان ثقة كثير الحديث صحيحه، وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر، وكان سرياً من الرجال نبياً سخياً، له ضيافة.

وقال تلميذه يحيى بن بكير: كان الليث يُحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة، ما رأيت أحداً أكمل من الليث.

وذكره ابن حبان في كتابه مشاهير علماء الأمصار وقال: كان أحد الأئمة في الدنيا فقها وورعا وفضلا وعلماً ونجدة وسخاء، لا يختلف إليه أحد من طلاب العلم إلا أدخله في جملة عياله، ينفق عليهم كما ينفق على خاصة عياله، فإذا أرادوا الخروج من عنده زوّدهم ما يُبلّغهم إلى أوطانهم رحمة الله عليه.

وذكره الذهبي في كتابه طبقات الحفاظ وقال: الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية وعالمها، كان كبير الديار المصرية وعالمها الأنبال حتى إن نائب مصر وقاضيهما من تحت أوامره، وإذا رابه من أحد منهم أمرٌ كاتب فيه الخليفة فيعزله.

قال الليث: قال لي الخليفة أبو جعفر المنصور: تلي لي مصر؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، إني أضعف عن ذلك، فقال: ما بك ضعف معي، ولكن ضعفت نيتك في العمل لي.

وقال والي مصر الأمير صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة أبي جعفر المنصور لشيخ الليث عمرو بن الحارث: لا أدع الليث حتى يتولى لي أو لأضربن عنقه، فجاء عمرو بن الحارث إلى تلميذه الليث فحذّره ونصحه بقبول العمل مع الأمير، فولي له ديوان العطاء، فنفع الله به المسلمين، وكان أمراء مصر لا يقطعون أمراً إلا بمشورته.

وكان الليث بن سعد من العلماء العباد الأغنياء الشاكرين المتصدقين، وله أخبار عجيبة في الكرم والعطاء الواسع للعلماء وطلاب العلم والسائلين والمساكين والغرباء.

قال قتيبة بن سعيد: كان الليث يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة، وما وجبت عليه زكاة قط، كان يتصدق كل يوم على ثلاث مائة مسكين.

وكان الليث يحرص على إخفاء صدقاته ويكتم ما يستطيع منها، ومما ظهر من صدقاته العظيمة جدا أنه أعطى الإمام مالك بن أنس ألف دينار، وأعطى منصور بن عمار الواعظ ألف دينار، ولما احترقت دار قاضي مصر عبد الله بن لميعة واحترقت كتبه بعث إليه الليث بألف دينار.

ولمعرفة قيمة الألف الدينار بالعملة المعاصرة فاعلم أن الدينار من الذهب وزنه أربعة جرامات وخمسة وعشرون بالمائة (٢٥.٤)، فالألف الدينار = ٤٢٥٠ جراما من الذهب، يعني ٤ كيلو وربع من الذهب، أي أن الليث أعطى كل واحد من أولئك الثلاثة ما يساوي في زمننا ١٤٠ ألف دولار تقريبا!

قال شعيب بن الليث بن سعد: خرجت حاجا مع أبي، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب، فجعل أبي على طبق ألف دينار، ورده إليه!

ومن أخباره العجيبة في الكرم أنه جاءت إليه امرأة فقالت: يا أبا الحارث، إن ابنا لي عليل، واشتهى عسلا، فأعطاها عشرين ومائة رطل من العسل!

وقال عبد الله بن صالح المصري وهو كاتب الليث: صحبت الليث عشرين سنة، لا يتعدى ولا يتعشى إلا مع الناس، وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض.

وقال تلميذه أشهب بن عبد العزيز: كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها: أولها يجلس مع السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر الليث من القاضي أمرا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل، ويجلس لأصحاب الحديث فيكتبون عنه الأحاديث، ويجلس للفتوى فيأتيه الناس فيسألونه ويفتيهم، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد فيرده كبرت حاجته أو صغرت! وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز في السكر.

روى الليث بن سعد كثيرا من الأحاديث النبوية عن شيوخه من التابعين وأتباع التابعين، وقد بلغ عدد شيوخه ١٣٩ شيخا، وبلغ عدد طلابه ١٠٧ من الرواة، وأصحاب الكتب الستة: البخاري ومسلم

والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه كلهم يروون عن بعض طلاب الليث عن الليث بن سعد،
فيكون بينهم وبين الليث بن سعد راوٍ واحد.

قال الحافظ الذهبي: روى الليث إسنادا عاليا في زمانه، فروى عن عطاء عن عائشة، وعن ابن أبي مليكة
عن ابن عباس، وعن نافع عن ابن عمر، وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة، وهذا النمط أعلى ما يوجد
في زمانه.

توفي الليث بن سعد رحمه الله في القاهرة سنة ١٧٥ هجرية وعمره ٨١ عاما.

١٦ أبو عوانة الوضاح بن عبد الله الواسطي

في مسند أحمد بن حنبل وفي كتب الحديث الستة المشهورة مئات الأحاديث النبوية يرويها أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق أبي عوانة، ويكون بينهم وبينه راوٍ واحد من مشايخهم، فمن هو أبو عوانة؟

قال الذهبي: أبو عوانة الوضاح بن عبد الله الواسطي الإمام، الحافظ، الثَّبت، محدِّث البصرة، كان من أركان الحديث، مجمعٌ على ثقته.

وقال ابن حبان: كان من أهل الفضل والنُّسك، ممن عني بالعلم صغيراً، وانتفع به كبيراً، وكان ربما يهيم إذا حدَّث من حفظه.

وقد كان أبو عوانة عبداً مملوكاً من سبي جرجان، أعتقه سيده، فأقبل على طلب العلم وحفظ السُّنة فرفعه الله بالعلم حتى صار من كبار محدثي البصرة، وكتب الحديث من كبار الرواة الذين أدركهم، وبلغ عدد مشايخه ١١١ من التابعين وأتباعهم، وبلغ عدد طلابه الذين سمعوا منه الحديث ١٢٦، منهم بعض شيوخ أحمد وأصحاب الكتب الستة.

ونذكر هنا ثلاثة أحاديث من أحاديث أبي عوانة من الصحيحين ومسند أحمد:

قال الإمام البخاري في صحيحه رقم (٦١٩٧): حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا أبو حَـصِين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).

وقال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه رقم (٣): حدثنا محمد بن عبيد الغُبَري، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي حَـصِين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).

وقال الإمام أحمد في مسنده رقم (٤٣٣٨): حدثنا عفان، قال: حدثنا أبو عوانة، عن عاصم، عن زُرِّ بن حُبَيْش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من جهنم)).

وقد لاحظ كبار علماء الحديث الجهابذة عند مقارنة روايات أبي عوانة بروايات غيره من الرواة أنه أخطأ في بعض الأحاديث بسبب روايته لها من حفظه من غير نظر في كتابه، فقد كان لأبي عوانة - كغيره من المحدثين - كتبٌ فيها الأحاديث التي سمعها من شيوخه وكتبها عنهم قديماً، وكان يحرص على أن يحدث طلابه من كتبه نظراً لا غيباً، لكنه أحياناً كان يُحدث بعض طلابه غيباً من غير نظر في كتابه، ف وقعت له أوهام قليلة في بعض متون الأحاديث أو الأسانيد أو في أسماء بعض الرواة، وقد تبين للمحدثين خطؤه بمقارنة رواياته بروايات زملائه الذين سمعوا معه تلك الأحاديث من شيوخه.

ومن أشهر أقران أبي عوانة: سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج الحافظان الكبيران المشهوران، وقد شاركاه في كثير من مشايخه، وشاركهما أبو عوانة في رواية كثير من الأحاديث، فوجد النقاد أن أحاديث أبي عوانة تشبه أحاديثهما مما يدل على شدة حفظه وإتقانه، إلا في بعض الأحاديث القليلة التي وهم فيها.

قال يحيى بن سعيد القطان: ما أشبه حديث أبي عوانة بحديث سفيان وشعبة!

وقال عفان بن مسلم: كان أبو عوانة صحيح الكتاب ثبُتاً.

وقال أحمد بن حنبل: أبو عوانة صحيح الكتاب، وإذا حدث من حفظه ربما يهيم.

وقال أبو زرعة: ثقةٌ إذا حدث من كتابه.

وقال الذهبي: كتابه متقنٌ بالمرّة، وله أوهامٌ تجنب إخراجها الشيخان.

ومن أمثلة أوهام أبي عوانة التي بينها علماء الحديث:

١ - روى أبو عوانة عن عبد الملك بن عُمير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الناس تبع لقريش، برهم لبرهم، وفاجرهم لفاجرهم)). وروى هذا الحديث محمد بن جابر عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن ربيعة عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورجح الدارقطني في كتابه (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) رواية محمد بن جابر على رواية أبي عوانة، فقد وهم أبو عوانة حين أسقط عمارة بن ربيعة من الإسناد فلم يذكره، ولعله حدث بهذا الحديث من حفظه فنسي أن يذكر شيخ شيخه عمارة بن ربيعة.

٢- روى أبو عوانة عن جابر الجعفي عن أبي بردة عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نهاني النبي صلى الله عليه وسلم أن أتختم في الوسطى والتي تليها، وقال لي: ((قل: اللهم إني أسألك السداد والهدى)). وروى هذا الحديث شعبة عن عاصم بن كليب عن أبي بردة عن علي بن أبي طالب من غير أن يذكر بين أبي بردة وعلي بن أبي طالب واسطة، ورجح الدارقطني رواية شعبة على رواية أبي عوانة، وقال: وهم أبو عوانة في قوله: عن أبيه.

٣- روى أبو عوانة عن هشام بن عروة عن امرأته فاطمة بنت المنذر عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء)). وخالفه يحيى بن سعيد القطان فرواه عن هشام بن عروة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أم سلمة موقوفا من قولها، قال الدارقطني: قول يحيى أشبه بالصواب. أي: أن أبا عوانة وهم في رواية هذا الحديث فاختلط عليه إسناده بإسناد آخر، ولم يجزم الدارقطني بهذا الحكم؛ لاحتمال أن يكون كلا الإسنادين صحيحا، فيكون الحديث صحيحا من رواية أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو عوانة، ويكون أيضا صحيحا من قولها كما رواه يحيى بن سعيد القطان، وممن صحح رواية أبي عوانة المرفوعة: الترمذي وابن حبان والألباني والأرنؤوط، والله أعلم.

توفي أبو عوانة رحمه الله في البصرة سنة ١٧٦ هجرية، وقيل: سنة ١٧٥، وعمره ٨٤ عاما.

وقد ذكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية أبا عوانة في كتابه العظيم (تاريخ بغداد) المطبوع في ١٦ مجلدا الذي ترجم فيه لـ ٧٧٨٣ راويا من المحدثين الذين سكنوا بغداد أو دخلوها، وذكر أن أبا عوانة دخل بغداد وحديث بها، وأطال في ترجمته، ثم ختمها بذكر وفاته، وسأنقل هنا كلامه لينظر القارئ بعض جهود علماء الحديث في نقل تواريخ وفيات العلماء بالأسانيد المتعددة:

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: قال لي علي بن المديني، وأخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا أحمد بن إسحاق بن وهب البندار، قال: حدثنا أبو غالب علي بن أحمد بن النضر، قال: [أي: علي بن المديني وابن النضر]: مات أبو عوانة في سنة مائة وخمس وسبعين. أخبرنا ابن الفضل، قال:

أخبرنا دَعْلَج، قال: أخبرنا الأَبَّار، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: مات أبو عوانة سنة مائة وست وسبعين. أخبرنا البرمكي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن خلف الدقاق، قال: حدثنا عمر بن محمد الجوهري، قال: حدثنا أبو بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ذكر موت أبي عوانة فقال: سنة ست وسبعين ومائة. أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: مات أبو عوانة سنة ست وسبعين ومائة.

وترجمه الإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية في كتابه العظيم (التاريخ الكبير) المطبوع في ٨ مجلدات، الذي ترجم فيه لـ ٣٦٥٢ راويا، وذكر اليوم والشهر الذي توفي فيه أبو عوانة، قال البخاري رحمه الله: قال لي عبد الله بن أبي الأسود: مات أبو عوانة سنة ست وسبعين ومائة. وقال لي محمد بن محبوب: مات أبو عوانة في ربيع الآخر يوم السبت.

رحم الله علماء الحديث الذين أفنوا أعمارهم في حفظ الأحاديث النبوية وضبط متونها وأسانيدها وأسماء رواتها وتاريخ وفياتهم ومقارنة رواياتهم والحكم عليهم بعلم وعدل وإنصاف، وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١٧) مالك بن أنس الأصبحي

إمام دار الهجرة، وأحد أئمة الفقه الأربعة المتبوعين، أصله من اليمن، ومولده بالمدينة النبوية.

قال الذهبي: طلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدّث عنه جماعة وهو شاب، وقصده طلبة العلم من الآفاق إلى أن مات، ولم يكن بالمدينة عامّاً من بعد التابعين يُشبهه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ، وكان من الكبراء السعداء، والسادة العلماء، ذا حشمة، وتحمّل، ودار فاحرة، ونعمة ظاهرة، ورفعته في الدنيا والآخرة.

وقال ابن حبان: مالك من سادات أتباع التابعين، وجلة الفقهاء والصالحين، ممن كثرت عنايته بالسنن وجمعه لها وذبحه عن حريمها وقمعه من خالفها أو رام مباينتها، مؤثرا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرها من المخترعات الداحضة، قائلًا بها دون الاعتماد على المقاييسات الفاسدة.

بقي مالك يطلب العلم في المدينة النبوية ولم يخرج منها إلا إلى مكة للحج، ولم يرحل في طلب العلم اكتفاء بأخذ العلم من علماء المدينة أو من يمر بها من العلماء، وعدد مشايخه ١٤١ شيخا كثير منهم من أحفاد الصحابة من أهل المدينة، وأدرك اثنين من أبناء الصحابة، وهما: عامر بن عبد الله بن الزبير وعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ومن أشهر مشايخه: نافع مولى ابن عمر ومحمد بن شهاب الزهري وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان وعبد الله بن دينار ويحيى بن سعيد الأنصاري وجعفر بن محمد الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وتلا مالك القرآن على نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة المشهورين.

وأخذ العلم عن مالك خلق كثير لا يُحصىون كثرة، وقد سمى الأعظمي في مقدمة تحقيقه لموطأ مالك ٩٦٧ طالبا من طلاب مالك.

قال ابن سعد: كان مالك ثقة مأمونا ثبتا ورعا فقيها عالما حجة.

وقال ابن عيينة: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه.

وقال الشافعي: إذا ذُكر العلماء فمالك النجم، وهو معلّم، وعنه أخذت العلم.

وقال الشافعي أيضا: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز.

وقال يحيى بن معين: مالكٌ من حجج الله على خلقه.

وقال أحمد بن حنبل: مالكٌ إمامٌ في الحديث وفي الفقه.

وقال أبو مصعب: كان مالكٌ لا يحدث إلا وهو على طهارة؛ إجلالا للحديث.

قال مالكٌ: ما أفيتت حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك.

ومع سعة علم مالكٍ إلا أنه كان لا يتسرع في الفتوى، وكان كثير التوقف في الجواب عما لا يعلم، ويكثر جدا من قول: لا أدري، قال الهيثم بن جميل: سمعت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ (لا أدري).

وقال خالد بن خدّاش: قدمت على مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل.

وقال عبد الله بن وهب: لو شئت أن أملأ ألواح من قول مالك: لا أدري، لفعلت. وما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه.

قال مصعب بن عبد الله في مالك:

يدع الجواب فلا يُراجع هيئة ... والسائلون نواكس الأذقان

عز الوقار ونور سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال النسائي: أمناء الله على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة: شُعبة، ومالكٌ، ويحيى القطان.

قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحدا أهيب، ولا أتم عقلا من مالك، ولا أشد تقوى، وما أقدم على مالكٍ في صحة الحديث أحدا.

قال أبو نعيم: كان مالكٌ أحد النبلاء وأكمل العقلاء، ورث حديث الرسول ونشر في أمته علم الأحكام والأصول، تحقق بالتقوى فابْتُلي بالبلوى.

وكان مالك أفتى بفتوى لم تعجب والي المدينة الأمير جعفر بن سليمان العباسي فأمر بضرب مالك، فجُرِدَ من ثيابه وضُرب بالسياط، وجبذت يده حتى انخلعت من كتفه، فكان مالك يضطر أن يحمل إحدى يديه بالأخرى، وكان ذلك سنة ١٤٦ هجرية.

وكان مالك أُغشي عليه من شدة ألم الضرب، فلما حُمِلَ وأفاق قال: أُشهدكم أنني جعلتُ ضاربي في حل!

قال الواقدي: فوالله ما زال مالكُ بعد المحنة في علو ورفعة!

وقال ابن النديم: وكأنما كانت تلك السياط حُلِيّا عليه!

وقال الذهبي: هذا ثمرة المحنة المحمودّة أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير، ((ومن يرد الله به خيرا يُصب منه)).

ومن أخبار مالك مع الخلفاء أن الخليفة المهدي العباسي عندما قدم المدينة طلب من مالك أن يرافقه إلى بغداد، فأبى مالك وقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)).

وقال الخليفة المهدي لولديه موسى الهادي وهارون الرشيد: اسمعوا من مالك، فبعث إليه فلم يجبهما، فأعلما المهدي، فكلّمه، فقال: يا أمير المؤمنين! العلم يُؤتى أهله. فقال: صدق مالك، صبرا إليه.

وقد وقعت في حياة مالك ثلاثة أحداث سياسية كبيرة فعصمه الله من الخوض في شيء منها:

الحادثة الأولى: عندما كان عمر مالك ٢٩ عاما خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ هجرية، فلم يكن مالكُ مؤيِّدا لخروج زيد ولا مدافعا عن مُلك هشام، واستمر يطلب العلم ولم ينشغل بهذه الفتنة حتى انتهت باستشهاد زيد بن علي رحمه الله.

الحادثة الثانية: عندما كان عمر مالك ٣٩ عاما انهارت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هجرية، بعد حروب طاحنة قُتل فيها آلاف الناس من الفريقين، واعتزل مالك الفتنة، فلم يكن مدافعا عن مُلك بني أمية المنهار، ولا مؤيِّدا للعباسيين الثوار، وبقي مالكُ في المدينة يطلب العلم ويُعلِّمه ويعبد ربه ويدع الناس من الشر حتى استقرت الأمور، وأعطى الله ملكه من يشاء.

الحادثة الثالثة: عندما كان عمر مالك ٥٢ عاما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هجرية، وكان خروج محمد بن عبد الله العلوي الملقب بالنفس الزكية في المدينة، ومالك من تلاميذ أبيه عبد الله بن الحسن، وقد ظلم أبو جعفر المنصور عبد الله بن الحسن وسجنه ظلما، ولكن مالك أخذ بالسنة النبوية في قتال الفتنة، فاعتزل الفريقين، فلم يكن مع الثوار على الخليفة الظالم، ولم يكن ضد الثوار معينا للخليفة الجائر، وبقي مالك في بيته حتى انتهت الفتنة، قال الواقدي: لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة لزم مالك بيته فلم يخرج منه حتى قُتل محمد.

وقد صنّف الإمام مالك كتاب الموطأ، وهو كتابٌ عظيم في الحديث والفقه، واستمر مالك في تأليف هذا الكتاب وتحريره وتهذيبه أربعين عامًا، وقد ذكر مالك في كتابه الموطأ الأحاديث النبوية مرتبة على الأبواب الفقهية، وعدد أحاديثه كما في طبعة خليل شيحا (١٩٤٢) حديثا تشمل المرفوع المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، والموقوف المروي عن الصحابة، والمقطوع المروي عن التابعين، ومالك يعلق في كل باب بتعليق فقهية، بعضها من اجتهاداته، وبعضها مما ينقله عن علماء أهل المدينة، وأحيانا يشرح بعض الكلمات الغريبة في الحديث التي تحتاج إلى شرح وبيان، وكثير من أحاديث البخاري ومسلم موجودة في كتاب الموطأ، فقد كان البخاري ومسلم يرويان الموطأ عن بعض شيوخهما عن مالك، فبينهما وبين مالكٍ راوٍ واحد، قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر.

وأهم كتاب حفظ لنا مذهب الإمام مالك بعد الموطأ كتاب المدوّنة، وهو كتاب كبير فيه (٦٢٠٠) مسألة فقهية مرتبة على أبواب الفقه، وهي المسائل التي عرضها عبد السلام بن حبيب التَّنُوخي القيرواني الملقب سُحنون (ت ٢٤٠ هـ) على عبد الرحمن بن القاسم المصري (ت ١٩١ هـ) صاحب الإمام مالك، وأصل (المدوّنة) أسئلة سأها أسد بن الفرات (ت ٢١٣ هـ) لابن القاسم، فإن أسد بن الفرات عندما رحل في طلب العلم إلى العراق كَتَبَ كُتِبَ محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩ هـ) الذي جمع فيها فقه شيخه الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ)، فعرض أسد بن الفرات كتب محمد بن الحسن على عبد الرحمن بن القاسم المصري، وطلب منه أن يجيبه فيها على مذهب مالك ليعلم ما يتفق عليه الإمامان مالك وأبو حنيفة وما يختلفان فيه من تلك المسائل الفقهية، فأجاب ابن القاسم بما حفظ عن شيخه مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتسمى هذه المسائل: الأسدية، فنسخها سُحنون وارتحل بها إلى ابن القاسم

فعرضها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياء لا بد أن تُغيّر، فأصلح في إجاباته كثيرا وأسقط، ثم رتبها سحنون، وبوبها، واشتهر الكتاب باسم المدونة برواية سُحنون عن ابن القاسم عن مالك.

ومن أشهر أقوال مالك التي جعلها العلماء أصلا يجاب به من يسأل عن آيات وأحاديث الصفات أن رجلا سأل مالكا فقال له: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وقال الإمام مالك: كلُّ أحد يُؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم.

توفي مالك رحمه الله في المدينة النبوية سنة ١٧٩ هجرية وعمره ٨٥ عاما تقريبا.

وُلِدَ حماد بن زيد في عصر التابعين، واجتهد في طلب العلم وسماع الحديث من صغره، ولازم شيخه التابعي المشهور أيوب السَّخْتِيَّاني عشرين عاما، وبلغ عدد شيوخه ١٧٠ شيخا من التابعين وأتباعهم، وكان يجتهد في حفظ حديثه عن ظهر قلب، فلما عمي في آخر عمره بقي يُحَدِّثُ طلابه من حفظه، وبلغ عدد طلابه ١٨٧ طالبا، وحفظ لنا نحو أربعة آلاف حديث، قارنها علماء الحديث بروايات غيره من الحفاظ فلم يجدوه أخطأ في شيء منها مع كثرتها!

قال الذهبي: حماد بن زيد العلامة، الحافظ، الثبت، أحد الأعلام، لا أعلم بين العلماء نزاعا في كونه من أئمة السلف، ومن أتقن الحفاظ وأعدلهم، وأعدمهم غلطا، على سعة ما روى رحمه الله.

وقال محمد بن سعد: حماد بن زيد كان ثقة، ثبता، حجة، كثير الحديث.

وقال ابن حبان: كان من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، ممن كان يقرأ حديثه كله حفظا وهو أعمى.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة، وما رأيت بالبصرة أحدا أفقه من حماد بن زيد.

وقال يحيى بن معين: ليس أحد أثبت من حماد بن زيد.

وقال يحيى بن يحيى النيسابوري: ما رأيت شيخا أحفظ من حماد بن زيد.

وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين، ولم يكن له كتاب، حديثه حفظٌ كله.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حماد بن زيد ثقة، وحديثه أربعة آلاف حديث، كان يحفظها، ولم يكن له كتاب.

وقال عبد الرحمن بن خراش الحافظ: لم يخطئ حماد بن زيد في حديث قط!

وكان حماد بن زيد يُعْظَمُ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحث طلابه على تعظيم الحديث، قال سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يقول في قوله: {لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ٢] قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قُرئ حديثه وجب عليك أن تُنصت له كما تُنصت للقرآن.

وأحاديث حماد بن زيد محفوظة كلها في كتب الحديث، وبينه وبين أصحاب الكتب الستة راوٍ واحد، وسنذكر هنا ستة أحاديث من أحاديث حماد من كتب الحديث الستة:

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (٨٢٦): حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا غيلان بن جرير، عن مطرف، قال: صليت أنا وعمران بن حصين رضي الله عنه صلاة خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان إذا سجد كَبَّرَ، وإذا رفع كَبَّرَ، وإذا نهض من الركعتين كَبَّرَ، فلما سَلَّمَ أخذ عمران بيدي فقال: لقد صَلَّى بنا هذا صلاة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري رحمه الله (٢٩٤٨): حدثنا يحيى بن يحيى، قال: أخبرنا حماد بن زيد، عن معلى بن زياد، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((العبادة في الهرج كهجرة إلي)).

قال الإمام محمد بن عيسى الترمذي رحمه الله (٢٢٢٩): حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين))، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله)). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت علي بن المديني يقول: هم أهل الحديث.

قال الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله (٤): حدثنا مُسَدَّد بن مُسَرَّهَد، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عبد العزيز بن صُهَيْب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال: ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)).

قال الإمام محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني رحمه الله (٦٨٤): حدثنا أحمد بن عبدة قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم ابن بحدلة، عن زير بن حُبَيْش، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق: ((مألاً الله بيوتهم وقيورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى)).

قال الإمام أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله (٤١٦٣): أخبرنا يحيى بن حبيب بن عري قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني جئت أبايعك على الهجرة، ولقد تركت أبوي يبيكان قال: ((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما)).

ونختم ترجمة حماد بن زيد بقول تلميذه عبد الله بن المبارك في الحث على أخذ العلم عن حماد وكتابة العلم:

أيها الطالب علما ... ايت حماد بن زيد

تَقْتَنِسْ عِلْمًا وَحُكْمًا ... ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدِ

توفي حماد بن زيد رحمه الله في البصرة سنة ١٧٩ هجرية وعمره ٨١ عاما.

الإمام الحافظ علامة زمانه، أمير الأتقياء في وقته، الغازي، فخر المجاهدين، قدوة الزاهدين، التركي ثم المروزي، التاجر السفّار، صاحب التصانيف النافعة، والرحلات الشاسعة، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وبدأ الرحلة في طلب العلم في سنة إحدى وأربعين ومائة، فرحل إلى الحرمين، والشام، ومصر، والكوفة، والبصرة، والجزيرة، واليمن، وخراسان، وأخذ عن بقايا علماء التابعين، وكان سريع الحفظ منذ صغره، وحفظ جميع ما كتبه من الحديث، وكان كثير العبادة والصلاة والصيام، شديد الخوف من الله، مجاب الدعوة، عظيم الورع، وكان غنيا شاكرا، حريصا على إخفاء عمله الصالح، وأكثر من الترحال والتطواف في طلب العلم وكتابة الحديث، وفي الغزو، وفي التجارة، وفي الحج، وكان كثير الإنفاق على إخوانه في الله، ويطعمهم أحسن الطعام، ويجهزهم معه إلى الحج على نفقته، وكان يواسي العلماء وطلاب العلم ويعطيهم بسخاء، وأحسن الله خاتمته فمات وهو راجع من الجهاد.

قال ابن حبان: كان عبد الله بن المبارك أحد الأئمة فقها وورعا وعلماء وفضلا وشجاعة ونجدة، ممن رحل وجمع وصنّف وحدّث وحفّظ وذاكر، ولزم الورع الخفي، والصلابة في الدين، والعبادة الدائمة، مع حسن العشرة واستعمال الأدب إلى أن مات.

وقال ابن سعد: روى رواية كثيرة، وصنّف كتبًا كثيرة في أبواب العلم، وقال الشعر في الزهد والحث على الجهاد، وسمع علمًا كثيرًا، وكان ثقة مأمونًا إمامًا حجة كثير الحديث.

قال شيخه شعبة: ما قدم علينا أحد مثل ابن المبارك.

وقال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه.

وقال ابن رجب: كان من رواة العلم، وكتب عن الصغار والكبار، وجمع أمرا عظيما.

بلغ عدد شيوخه ٣٤٣ شيخا، ومن أشهر شيوخه: سليمان الأعمش ومعمّر بن راشد والأوزاعي وابن جريج وشعبة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وحماد بن زيد والليث بن سعد ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة والحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وعبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وحمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة.

قال يحيى بن معين: كان عبد الله بن المبارك رحمه الله كَيِّساً، مستثبتاً، ثقة، وكان عالماً، صحيح الحديث، وكانت كتبه التي يُحدِّث بها عشرين ألف حديث، وهو أمير المؤمنين في الحديث، وكان سيِّداً من سادات المسلمين.

وقال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين.

وقال أحمد بن حنبل: كان ابن المبارك يُحدِّث من الكتاب، فلم يكن له سقطٌ كثير.

قال الذهبي: حديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول، والله إني لأحبه في الله، وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى والعبادة والإخلاص والجهاد وسعة العلم والإتقان والمواساة والفتوة والصفات الحميدة.

قال عبد الرحمن بن مهدي: الأئمة أربعة: سفيان الثوري، ومالك، وحماد بن زيد، وابن المبارك.

وقال عبد الرحمن بن مهدي أيضاً: ما رأيت عيناى مثل أربعة: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري، ولا أشد تقشفاً من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك.

واجتمع جماعة من طلاب عبد الله بن المبارك فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.

قال العباس بن مصعب: جمع عبد الله بن المبارك الحديث، والفقه، والعريية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق.

وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن المبارك.

وقال سفيان بن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر عبد الله بن المبارك، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه.

وقال تلميذه نُعيم بن حماد: ما رأيت أعقل من ابن المبارك، ولا أكثر اجتهادا في العبادة، وكان يكثر الجلوس في بيته، ف قيل له: ألا تستوحش؟! فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟!

وقال شقيق بن إبراهيم البلخي: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا؟! قال: أذهب مع الصحابة والتابعين، قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟! قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، فما أصنع معكم؟! أنتم تغتابون الناس.

ومن أخباره العجيبة في الورع أنه استعار قلما بأرض الشام، فسافر ونسي أن يرده لصاحبه حتى بلغ مدينته مرو في خراسان، فرجع من بلاده إلى الشام وصبر على مشقة السفر وطول المسافة حتى رد القلم على صاحبه!!

ومن أقواله: قال عبد الله بن المبارك: لو أن رجلا اتقى مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعا.

وقال ابن المبارك: حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته.

وقال ابن المبارك: في صحيح الحديث شغل عن سقيمه.

وكان ابن المبارك لا يدخل على السلاطين، ويحذر العلماء وطلاب العلم من فتنة الدخول عليهم وقبول عطاياهم والعمل معهم.

وأرسل ابن المبارك إلى القارئ المشهور أبي بكر بن عياش راوية عاصم أربعة آلاف درهم، فقال: سد بها فتنة القوم عنك.

وقال الفضيل بن عياض لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟! قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي.

ومن شعر ابن المبارك قوله:

إِنِّي أَمْرٌ لَيْسَ فِي دِينِي لِعَامِرِهِ ... لَيْتُ وَلَسْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ طَعَانًا

فَلَا أَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ ... وَلَنْ أَسُبَّ - مَعَادَ اللَّهِ - عُثْمَانَ

وَلَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ أَشْتِمُهُ ... حَتَّى أَلْبَسَ تَحْتَ الثُّرْبِ أَكْفَانًا

ومن تصانيف عبد الله بن المبارك المطبوعة: مسند عبد الله بن المبارك، وكتاب الجهاد، وهو أول كتاب في بابه، وكتاب الزهد والرقائق، وهو كتاب كثير الفوائد، فيه نحو ألف وستمئة حديث وأثر وقصة يرويها ابن المبارك بأسانيده في الزهد والرقائق.

ولابن المبارك آلاف الأحاديث المحفوظة في كتب الحديث، وبينه وبين أصحاب الكتب الستة راوٍ واحد، وبلغ عدد طلاب عبد الله بن المبارك الذين رووا عنه الحديث ٢٣٣ راويًا.

وقد كان طلاب العلم يزدهمون على ابن المبارك لكتابة الحديث عنه، ولما قدم الخليفة هارون الرشيد الرقة، انجفل طلاب العلم خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد للأمير المؤمنين من برج القصر فقالت: ما هذا؟! قالوا: عالمٌ من أهل خراسان قدم، فقالت: هذا والله الملك، لا مُلك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان!

قال ابن أبي حاتم في مقدمة كتابه الجرح والتعديل: أخبرنا أحمد بن سلمة النيسابوري قال: سمعت أبا بكر بن أسلم بن سليمان يقول: رحل أبي من نيسابور إلى مرو ليكتب عن ابن المبارك فقال أبيات شعرٍ أنشدها لابن المبارك:

خَلَفْتُ عِرْسِي يَوْمَ السَّيْرِ بَاكِئَةً ... يَا ابْنَ الْمُبَارَكِ تَبَكِّي بَرْنَاتٍ

خَلَفْتُهَا سَحَرًا فِي النَّوْمِ لَمْ أَرَهَا ... فَفِي فَوَادِي مِنْهَا شَبُّهُ كَيَّاتٍ

أَهْلِي وَعِرْسِي وَصَبْيَانِي رَفَضْتُهُمْ ... وَسَرْتُ نَحْوَكَ فِي تِلْكَ الْمَفَازِ

أَخَافُ وَاللَّهِ قِطَاعَ الطَّرِيقِ بِهِ ... وَمَا أَمِنْتُ بِهَا مِنْ لَدَغِ حَيَاتٍ

مَسْتَوْفَزَاتٍ بِهَا رَقَشٌ مَشْوَهَةٌ ... أَخَافُ صَوْلَتَهَا فِي كُلِّ سَاعَاتِي

اجْلِسْ لَنَا كُلَّ يَوْمٍ سَاعَةً بُكْرًا ... إِنْ خَفَّ ذَاكَ وَإِلَّا بِالْعَشِيِّاتِ

يا أهل مرو أعينونا بكفكم ... عنا وإلا رميناكم بأبيات

لا تضجرونا فإننا معشر صبر ... وليس نرجو سوى رب السموات

وسنذكر هنا حديثا واحدا من أحاديث عبد الله بن المبارك مع تخریجه من بعض كتب الحديث المسندة باختصار، ليطلع القارئ الكريم على أسانيد المحدثين إلى ابن المبارك، وينظر في متابعة الرواة بعضهم لبعض في رواية الحديث الواحد:

قال أبو داود (٣٤٥): حدثنا محمد بن حاتم الجرجاني قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي قال: حدثني حسان بن عطية قال: حدثني أبو الأشعث الصنعاني قال: حدثني أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من غسّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكَرَّ وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها)).

وقال ابن ماجه (١٠٨٧): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي قال: حدثنا حسان بن عطية قال: حدثني أبو الأشعث قال: حدثني أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((من غسّل يوم الجمعة واغتسل، وبكَرَّ وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها)).

وقد روى هذا الحديث الترمذي والنسائي من غير طريق عبد الله بن المبارك ومن غير طريق الأوزاعي ومن غير طريق حسان بن عطية، قال الترمذي (٤٩٦): حدثنا محمود بن غيلان قال: حدثنا وكيع عن سفيان وأبي جناب يحيى بن أبي حية عن عبد الله بن عيسى عن يحيى بن الحارث الذماري عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من اغتسل يوم الجمعة وغسّل، وبكَرَّ وابتكر، ودنا واستمع وأنصت، كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها)) قال محمود: قال وكيع: اغتسل هو وغسّل امرأته، ويروى عن ابن المبارك أنه قال في هذا الحديث: من غسّل واغتسل: يعني: غسّل رأسه واغتسل. وفي الباب عن أبي بكر، وعمران بن حصين، وسلمان، وأبي ذر، وأبي سعيد، وابن عمر، وأبي أيوب، حديث أوس بن أوس حديث حسن، وأبو الأشعث الصنعاني اسمه شراحيل بن آدة.

وقال النسائي (١٣٨١): أخبرنا عمرو بن منصور وهارون بن محمد بن بكار بن بلال، واللفظ له، قالوا: حدثنا أبو مسهر قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحارث عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من غَسَّلَ واغتسل، وغدا وابتكر، ودنا من الإمام ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها)).

وروى أحمد بن حنبل في مسنده هذا الحديث من طريق ابن المبارك ومن طريق غيره:

قال أحمد بن حنبل (١٦١٧٣): حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من غَسَّلَ واغتسل يوم الجمعة، وبَكَرَ وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام، فاستمع، ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها)).

وقال أحمد بن حنبل (١٦١٧٨): حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن يحيى بن الحارث عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من غَسَّلَ واغتسل، ثم غدا فابتكر، وجلس من الإمام قريبا فاستمع وأنصت، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها)).

وروى أحمد أيضا هذا الحديث من طريق أخرى فيها متابعة ليحيى بن الحارث الذماري تلميذ أبي الأشعث الصنعاني، قال أحمد بن حنبل (١٦١٧٦): حدثنا الحكم بن نافع قال: حدثنا إسماعيل بن عياش عن راشد بن داود الصنعاني عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من اغتسل يوم الجمعة وغَسَّلَ، ثم ابتكر، وغدا إلى المسجد، ثم جلس قريبا من الإمام حتى ينصت، كان له بكل خطوة خطاها عمل سنة صيامها وقيامها)).

أكتفي بذكر هذه الطرق لهذا الحديث الواحد من بعض كتب الحديث، ولو أردنا أن نجمع كل طرق هذا الحديث من جميع كتب الحديث المسندة لطال البحث جدا، والمقصود من هذه النبذة المختصرة أن يطلع القارئ غير المتخصص في علم الحديث على جهود علماء الحديث رحمهم الله في جمع طرق الأحاديث.

ونختتم ترجمة عبد الله بن المبارك بقول الشاعر عمار بن الحسن في مدحه:

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً ... فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُزُومًا وَجَمَاهُ

إِذَا ذُكِرَ الْأَحْبَارُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ... فَهُمْ أَجْمَعٌ فِيهَا وَأَنْتَ هَالِكُهُمَا

توفي عبد الله بن المبارك رحمه الله في هيت في العراق وهو راجع من جهاد الروم سنة ١٨١ هجرية وعمره ٦٣ عاما.

ولما مات ابن المبارك رآه تلميذه نوفل بن مطهر في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحمتي في الحديث، عليك بالقرآن، عليك بالقرآن.

٢٠ هُشَيْم بن بشير الواسطي

هُشَيْم بن بشير ممن حُبب الله إليهم طلب العلم وكتابة الحديث والتفقه في الدين من الصغر، وكان والده يمنعه من طلب العلم، فمرض هُشَيْم وانقطع عن حلقة العلم فجاءه أبو شيبه قاضي واسط يعوده، فعرف أبو هُشَيْم قدر العلم فقال لولده: متى أُمِلْتُ أنا هذا؟! قد كنت يا بني أُمْنَعُكَ من طلب العلم، أما اليوم فلا أُمْنَعُكَ.

قال ابن حبان: هُشَيْم بن بشير من متقني الواسطيين، وجلة مشايخها، ممن كثرت عنايته بالآثار، وجمعه للأخبار، حتى حفظ وصنّف وذاكر وحدّث.

وقال حماد بن زيد: ما رأيت في المحدثين أنبل من هُشَيْم.

وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحفظ من هُشَيْم إلا سفيان الثوري إن شاء الله.

وقال إبراهيم الحربي: كان هُشَيْم يحفظُ الأحاديث المقطوعة حفظًا عجيبًا، يعني أنه لم يكتف بحفظ الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان يحفظ أيضًا الآثار المروية عن التابعين في الفقه والتفسير، وهذا يدل على سعة حفظه، وشدة حرصه على العلم.

وقال يعقوب الدورقي: كان عند هُشَيْم عشرون ألف حديث. والمراد بهذا العدد كل إسناد يرويه هُشَيْم سواء كان حديثًا مرفوعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو موقوفًا عن الصحابة أو عن التابعين وأتباعهم، وإذا كان الحديث الواحد يُروى بأكثر من إسناد فالمحدّثون يعدون كل إسنادٍ حديثًا.

قال الذهبي: سكن هُشَيْم بغداد، ونشر بها العلم، وصنّف التصانيف، وانتهت إليه مَشِيخة العِلْم ببغداد في زمانه، كان رأسًا في الحفظ إلا أنه صاحب تدليس كثير، قد عُرف بذلك.

والتدليس أن يروي الراوي عن بعض المشايخ ما لم يسمعه منهم، فيقول: عن فلان، وهو لم يسمع منه الحديث، وإنما سمعه من راوٍ آخر عنه، فلا يُسمّى من سمع منه، ويوهم الناس أنه سمع الحديث من ذلك الشيخ مباشرة بلا واسطة، وكان بعض الرواة يستجيز التدليس لكونه لم يكذب بأنه حدّثه ذلك الشيخ، وإنما قال: عن فلان، ولو قال: حدثني فلان أو أخبرني فلان أو سمعت فلانا وهو لم يحدثه ولم يسمع منه لكان ذلك كذبًا، لكنه يقول: عن فلان، ويوهم طلابه أنه سمعه منه، ولا شك أن التدليس قبيح وإن لم

يكن كذبا؛ ولذلك فإن أكثر المحدثين كانوا يجتنبون التدليس، وعندما كان يجمع علماء الحديث طرق الأحاديث وأسانيد الرواة تبين لهم المدلسون، فوصفوه بالتدليس، وعلَّلوا الأحاديث التي لم تأت إلا من طريقهم ولم يُصرِّحوا فيها بالسماع من مشايخهم.

وقد جمع الحافظ ابن حجر أسماء المدلسين في كتابه طبقات المدلسين فبلغ عددهم ١٥٢ راويا فقط، ومنهم الكثير من التدليس ومنهم المقل، وقد عد ابن حجر هُشيم بن بشير من المكثرين من التدليس، وقال عنه: من أتباع التابعين، مشهورٌ بالتدليس مع ثقته، وصفه النسائي وغيره بذلك.

قال ابن سعد: كان هُشيم ثقة كثير الحديث ثبَّتا، يُدلس كثيرا، فما قال في حديثه: أخبرنا فهو حجة، وما لم يقل فيه: أخبرنا؛ فليس بشيء.

وقال ابن عدي: هُشيم رجل مشهور، وقد كتب عنه الأئمة، وهو في نفسه لا بأس به إلا أنَّه نُسب إلى التدليس، وإذا حدَّث عن ثقة فلا بأس به، وربما يوجد في بعض أحاديثه منكر إذا دلَّس في حديثه عن غير ثقة.

وهُشيم أثبت الناس في شيخه حُصين بن عبد الرحمن، قال أحمد بن حنبل: ليس أحد أصح حديثًا من هُشيم عن حُصين، ولا يكاد يُدلس عن حُصين.

وهُشيم ضعيف في الزهري، فقد نص علماء الحديث أن هُشيمًا إذا روى عن الزهري فليس بحجة، وسبب ذلك أن هُشيمًا كتب عن الزُّهري نسخة كبيرة فيها نحو ثلاثمائة حديث، فضاعت عليه تلك الصحيفة قبل أن يحفظها، وكان علق في ذهنه بعض تلك الأحاديث، فكان يُحدث بها مع عدم إتقانه لها، فلما قارن علماء الحديث روايات هُشيم عن الزهري بروايات طلاب الزهري المتقنين وجدوا أن هُشيمًا يُخطئ فيها، فضَعَّف المحدثون روايات هُشيم عن الزهري، فالحدثون رحمهم الله منصفون لا يحابون ولا يجاملون أحدا.

ومثال خطأ هُشيم في روايته عن الزهري: أن طلاب الزهري المتقنين كابن جريج وسفيان بن عيينة ويونس بن يزيد ومعمّر بن راشد والأوزاعي رَوَوْا عن الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن عمرو بن عثمان بن عفان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم)) رواه البخاري (٦٧٦٤) ومسلم (١٦١٤) وغيرهما.

ورواه النسائي (٦٣٤٩) قال: أخبرنا علي بن حُجر قال: أخبرنا هُشيم عن الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يتوارث أهل ملتين)).

قال الحافظ ابن حجر: وبيان مخالفة هُشيم أنه رواه عن الزهري بالإسناد المذكور بلفظ: ((لا يتوارث أهل ملتين))، وقد حكم النسائي وغيره على هُشيم بالخطأ فيه، وعندني أنه رواه من حفظه بلفظ ظن أنه يؤدي معناه، فلم يُصِب، فإن اللفظ الذي أتى به أعم من اللفظ الذي سمعه، وسبب ذلك أن هُشيم سمع من الزهري بمكة أحاديث ولم يكتبها، وعلق بحفظه بعضها فلم يكن من الضابطين عنه؛ ولذلك لم يُخرج الشيخان من رواية هُشيم عن الزهري شيئاً، والله أعلم.

وكان هُشيم رحمه الله مجتهداً في العبادة محافظاً على قيام الليل، قال تلميذه أحمد بن حنبل: لزمْتُ هُشيماً أربع سنين أو خمساً، ما سألتُه عن شيء إلا مرتين؛ هيبه له، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوته، وكان هُشيم إذا جاء المسجد وقد فاتته التكبيرة الأولى لم يدخل، ويصلي بهم جماعة في مسجد آخر صغير.

وكان هُشيم مهتماً بتفسير القرآن، وصنّف كتاباً في تفسير القرآن، وقد روى هذا الكتاب إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره، فروى روايات كثيرة في التفسير من طريق شيخه يعقوب بن إبراهيم الدورقي وغيره عن هُشيم بن بشير.

مثال ذلك: قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: ٧]: حدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا هُشيم قال: أخبرنا مغيرة عن إبراهيم النخعي قال: هو عارية الناس: الفأس والقدر والدلو ونحو ذلك.

ونختم ترجمة هُشيم بحديث عظيم من أحاديثه المحفوظة في صحيح مسلم، قال مسلم رحمه الله (١٥٩٨): حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب وعثمان بن أبي شيبة قالوا: حدثنا هُشيم، قال: أخبرنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء)).

توفي هُشيم بن بشير رحمه الله سنة ١٨٣ هجرية وعمره ٧٩ عاماً.

٢١) وكيع بن الجراح الرؤاسي

من كبار محدثي العرب، نشأ في الكوفة، واجتهد في طلب العلم من صغره، ولزم شيخه سليمان الأعمش التابعي المشهور سنين عديدة، وكان شيخه سفيان الثوري يدعوه وهو غلام، فيسأله عما حفظ من الحديث، فيقول وكيع: حدثني فلان بكذا، وحدثني فلان بكذا، فيتبسم سفيان ويتعجب من حفظه، وقال: لا يموت هذا الغلام حتى يكون له شأن، فلما مات سفيان الثوري جلس وكيع مكانه.

قال أحمد بن حنبل: كان وكيع غلامًا كيّسًا، يطلب العلم من صغره، ما رأيت أحدًا ممن أدركنا كان أحفظ للحديث من وكيع، سبحان الله! ما كان أحفظ وكيع!

بلغ عدد شيوخ وكيع بن الجراح ٣٦٠ شيخًا، منهم شعبة وسفيان الثوري اللذان يُلقب كل واحد منهما: أمير المؤمنين في الحديث، ومن مشايخه اثنان من القراء السبعة: أبو عمرو بن العلاء البصري وحمزة الزيات الكوفي، ومن مشايخه: الإمامان أبو حنيفة ومالك بن أنس، ومن طلابه: الإمامان الشافعي وأحمد بن حنبل، فاثنتان من الأئمة الأربعة من مشايخه، واثنتان من طلابه!

قال الذهبي: وكيع بن الجراح الإمام، الحافظ، محدث العراق، أحد الأعلام، كان من بحور العلم، وأئمة الحفظ.

قال محمد بن سعد: كان وكيع ثقة، مأمونًا، عاليًا، رفيعًا، كثير الحديث، حجة.

وقال عبد الرزاق الصنعاني: رأيت الثوري، وابن عيينة، ومعمرا، ومالكا، فما رأيت عينا قط مثل وكيع.

وكان وكيع ممن جمع بين العلم النافع والعمل بالعلم، فكان مجتهدا جدا في العبادة، ولم تشغله العبادة عن إتقان حديثه وتعليم الناس.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع، وكان جهبذا، وكان يصوم الدهر، ويفطر يوم الشك والعيد.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت قط مثل وكيع في العلم، والحفظ، والإسناد، والأبواب، مع خشوع وورع، وكيع إمام المسلمين في زمانه.

وقال الزاهد المشهور أحمد بن أبي الحواري: ما رأيت فيمن لقيت أخشع من وكيع.

وقال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة!

قال الذهبي معلقا على هذا الخبر العجيب: هذه عبادة يُخضع لها، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة، فقد صح نهي عليه الصلاة والسلام عن صوم الدهر، وصح أنه نهي أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضي الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟!

قلت: ولعل قراءته للمصحف في كل ليلة كان في بعض عمره، فقد قال يحيى بن أيوب: حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه: أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.

وقال يحيى بن معين: ما رأيت أحدا أحفظ من وكيع، وما رأيت أفضل من وكيع، قيل: ولا ابن المبارك؟! قال: قد كان ابن المبارك له فضل، ولكن ما رأيت أفضل من وكيع، كان يستقبل القبلة، ويحفظ حديثه، ويقوم الليل، ويسرد الصوم.

وقال أبو حاتم الرازي: وكيع أحفظ من عبد الله بن المبارك.

وقال إسحاق بن راهويه: رأيت وكيعا استند وحديث بسبع مائة حديث حفظا!

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحدا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع، كان وكيع حافظا حافظا، ما رأيت عينا مثله قط، كان مطبوع الحفظ، يحفظ الحديث جيدا، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد.

وقال علي بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتابا قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن علّمك الدواء استعملته؟ قلت: إي والله. قال: ترك المعاصي، ما جربت مثله للحفظ.

ويروى عن الإمام الشافعي أنه قال:

شَكُوتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ اْعْلَمُ بِأَنَّ اَلْعِلْمَ فَضْلٌ ... وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي

وكان طلاب العلم يرحلون إلى وكيع في زمانه، وكانوا في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر وكيع من أمرهم شيئاً قام ولم يحدثهم، وعدد طلاب وكيع ٢٦٣ راوياً.

قال سفيان بن وكيع: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف فيقبل، ثم يصلي الظهر، ثم يُعَلِّم العامة من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلّي العصر، ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله، فيُقدِّم إليه إفطاره، وكان يصلي ورده من الليل ثم ينام.

وكان وكيع مع علمه بالقرآن والحديث فقيهاً مفتياً، قال العجلي: وكيع ثقة، عابد، صالح، أديب، من حفاظ الحديث، وكان مفتياً.

وكان وكيع يتجنب العمل مع السلاطين الظلمة خوفاً من أن يعينهم على ظلمهم وأن يركن إليهم.

قال محمد بن علي الوراق: غُرِض القضاء على وكيع فامتنع.

وقال أحمد بن حنبل: لم يختلط وكيع بالسلطان، وكان وكيع صديقاً لحفص بن غياث، فلما وُلِّي حفص القضاء هجره وكيع.

وكان وكيع محباً لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من علماء الحديث، وكان يُعرِّف الناس بفضل أهل البيت وفضل الصحابة أجمعين، وألَّف كتاباً في فضائل الصحابة، وذكر فيه مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولوكيع كتاب الزهد، وهو مطبوع، وفيه ٥٣٩ حديثاً وأثر في الزهد، وآخر أثر فيه: كنا نستعين على طلب الحديث بالصوم.

والأحاديث التي رواها وكيع بن الجراح كثيرة جداً، وقد بحثت بواسطة المكتبة الشاملة عن أحاديث وكيع في مسند أحمد بن حنبل ومصنف ابن أبي شيبة وهما من طلاب وكيع ويرويان عنه مباشرة بلا واسطة، وكذلك بحثت عن أحاديث وكيع في كتب الحديث الستة المشهورة: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وهم يروون عن وكيع بواسطة راوٍ واحد، فوجدت أن وكيعاً ذُكر في هذه الكتب ما يقارب عشرة آلاف مرة.

ونختم ترجمة وكيع بن الجراح بذكر حديث واحد من أحاديث وكيع من صحيح مسلم مع بيان طرقه في صحيح مسلم باختصار: روى مسلم (٥٨٨) عن أربعة من مشايخه وهم: نصر بن علي الجهضمي، وابن نمير، وأبو كريب، وزهير بن حرب، وكلهم من طلاب وكيع، روى كلهم عن وكيع بن الجراح قال: حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة، قال الأوزاعي: وعن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)).

ثم ذكر الإمام مسلم متابعة الوليد بن مسلم وعيسى بن يونس لوكيع في رواية هذا الحديث عن الأوزاعي، ثم ذكر مسلم متابعة هشام بن حسان للأوزاعي في رواية هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير، ثم ذكر مسلم متابعة طاوس اليماني وعبد الرحمن بن هرمز وعبد الله بن شقيق لمحمد بن أبي عائشة وأبي سلمة في رواية هذا الحديث عن أبي هريرة، وذكر مسلم متابعة عائشة وابن عباس لأبي هريرة في رواية هذا الحديث، فلهذا در الإمام مسلم ما أحسن سياقه لطرق الأحاديث في صحيحه، وقد روى المحدثون هذا الحديث من نفس الطرق التي ذكرها مسلم ومن طرق أخرى غيرها.

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ ... عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ

وَقَدَّرُ كُلَّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

توفي وكيع بن الجراح رحمه الله بفيد بين مكة والكوفة وهو راجع من الحج سنة ١٩٧ هجرية وعمره ٦٨ عاما تقريبا.

٢٢ يحيى بن سعيد القطان البصري

يحيى بن سعيد القطان أحد الحفاظ المشهورين، اجتهد في كتابة الحديث من صغره من العلماء الذين أدركهم من التابعين وأتباعهم، وعددهم ١٨١ شيخا، وكان في وقت طلبه للعلم يخرج من بيته لسماع الحديث وكتابته فلا يرجع إلا بعد العشاء، ولزم شيخه شعبة الملقب أمير المؤمنين في الحديث عشرين سنة، وكان شعبة يُكرمه ويجله، ولما قدم سفيان الثوري البصرة طلب من عبد الرحمن بن مهدي أن يأتيه بطالب علم يذاكره الأحاديث، فأتاه يحيى بن سعيد، فذاكره سفيان فانبهر من حفظه!

قال الذهبي: يحيى بن سعيد القطان الإمام الكبير الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، عني بهذا الشأن أتم عناية، ورحل فيه، وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلم في العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ.

ومن أشهر مشايخ يحيى بن سعيد القطان الذين سمع منهم الأحاديث وكتبها عنهم: سليمان التيمي، وسليمان الأعمش، والقاضي يحيى بن سعيد الأنصاري، وشعبة، وسفيان الثوري، وسمع يحيى القطان من كثير من أحفاد الصحابة وأبناء أحفادهم كهشام بن عروة بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب الصادق.

ويحيى بن سعيد أحد الثقات الذين رووا عن جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ)، كابن جريج (ت ١٥٠ هـ) وشعبة (ت ١٦٠ هـ) وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ)، وقد وجد هؤلاء الحفاظ عند جعفر الصادق أحاديث قليلة رووها عنه، فلم يكن جعفر الصادق - مع ثقته وفقهه - من الحفاظ الكبار كأقرانه الحفاظ المكثرين كالأعمش (ت ١٤٨ هـ) ومعمّر بن راشد (ت ١٥٤ هـ) والأوزاعي (ت ١٥٧ هـ)، وكذلك لم يكن أبوه محمد بن علي بن الحسين الملقب الباقر (ت ١١٨ هـ) مكثرا من الحديث مثل أقرانه الحفاظ المكثرين كقتادة (ت ١١٨ هـ) والزهري (ت ١٢٤ هـ) وعمرو بن دينار المكي (ت ١٢٦ هـ) وأبي أسحاق السبيعي (ت ١٢٨ هـ).

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة جعفر الصادق بعد أن ذكر إمامته في الدين وثقته وفضله: ليس هو بالمكثّر إلا عن أبيه، وقال في ترجمة أبيه محمد بن علي بن الحسين: ليس هو بالمكثّر،

وهو في الرواية كأبيه وابنه جعفر، ثلاثتهم لا يبلغ حديث كل واحد منهم جزءا ضخما، ولكن لهم مسائل وفتاوى.

وقد ذكر علماء الحديث أنه إذا حدّث عن جعفر الصادق الثقات كيحيى بن سعيد القطان وغيره من الثقات فحديثه مستقيم، وإذا حدّث عنه الضعفاء والكذابون فيكون ذلك الحديث أو القول المنقول عنه ضعيفا، قال ابن تيمية: أضيف إلى جعفر الصادق ما يعلم كل عالم بحال جعفر رضي الله عنه أن ذلك كذبٌ عليه، وأصحاب جعفر الصادق الذين أخذوا عنه العلم كمالك بن أنس وسفيان بن عيينة وأمثالهما من أئمة الإسلام براء من هذه الأكاذيب، وكذلك كثير من المذاهب الباطلة التي تحكيها عنه الرافضة، وهي من أبين الكذب عليه، وليس في فرق الأمة أكثر كذبا واختلافا من الرافضة، ولم يُكذّب على أحد ما كُذّب على جعفر الصادق.

قال أحمد بن حنبل: انتهى العلم إلى أربعة: إلى عبد الله بن المبارك، ووكيع، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، فأما ابن المبارك فأجمعهم، وأما وكيع فأسردهم، وأما يحيى فأتقنهم، وأما عبد الرحمن فجهبذ.

وقال أحمد بن حنبل أيضا: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان، هو أثبت الناس، لا يقاس يحيى بن سعيد في العلم أحد، وكان حديث يحيى بن سعيد نحوًا من ثمانية عشر ألف حديث.

وقال أحمد بن حنبل أيضا: رحم الله يحيى القطان ما كان أضبطه وأشد تفقده! كان يحدثنا بالأحاديث من حفظه، وأما الأحاديث الطوال فيقرؤها علينا.

وقال محمد بن بNDAR الجرجاني: قلت لابن المديني: من أنفع من رأيت للإسلام وأهله؟ قال: يحيى بن سعيد القطان.

وقال الحافظ ابن حجر: يحيى بن سعيد القطان ثقة متقن حافظ إمام قدوة.

وكان يحيى بن سعيد القطان عالما بالفرائض، ويحسن الفقه، وكان مجتهدا في العبادة، رقيق القلب، كثير البكاء، وربما بكى حين يحدث طلابه بالحديث، ولم يشغله علم الحديث عن كتاب الله، فكان يختم القرآن كل يوم، وكان يُحدّث طلاب العلم بالحديث بعد العصر، وقد بلغ عدد طلابه ١١٩ طالبا.

قال يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة، وكان إذا قُرئ عنده القرآن سقط مغشيا عليه.

وقال علي بن المديني: كنا عند يحيى بن سعيد، فقرأ رجل سورة الدخان، فصعق يحيى، وغشي عليه.

وقال محمد بن بشار الملقب بNDAR: حدثنا يحيى بن سعيد إمام أهل زمانه، اختلفت إليه أكثر من عشرين سنة، ما أظنه عصى الله قط، لم يكن في الدنيا في شيء.

وقال أبو حفص الفلاس: كان عادة يحيى بن سعيد إذا سكت ثم تكلم يقول: يُحيي ويميت وإليه المصير.

وكان يحيى القطان زاهدا في الدنيا، قنوعا برزقه، كانت له نفقة من غلته يكتفي بها، فإن دخل من غلته حنطة أكل حنطة، وإن دخل شعير أكل شعيرا، وإن دخل تمر أكل تمرا.

وكان يحيى القطان من كبار علماء الجرح والتعديل، فتكلم في الرواة تعديلا وتجيحا بعلم، وكان علماء الجرح والتعديل يعرفون حفظ الراوي وإتقانه أو سوء حفظه أو كذبه بجمع طرق أحاديث الرواة، ومقارنة روايات بعضهم ببعض، فيتبين لهم الحافظ المتقن، والصدوق الذي خف ضبطه قليلا وليس بالمتقن، والضعيف الذي يخطئ كثيرا ولا يحفظ، والكذاب الذي يروي عن الشيوخ ما لا أصل له.

قال علي بن المديني: ما رأيت أحدا أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد.

وقال مسلم في مقدمة صحيحه: حدثني بشر بن الحكم، قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان ضعف حكيم بن جبير، وعبد الأعلى، وضعف يحيى بن موسى بن دينار، قال: حديثه ربح.

وقال صالح بن محمد الحافظ: أول من تكلم في الرجال: شعبة بن الحجاج، ثم تبعه يحيى القطان، ثم تبعه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل.

وقال ابن حبان: يحيى بن سعيد من سادات أهل البصرة وقرائهم، ممن مهّد لأهل الحديث طرق الأخبار، وحثهم على تتبع العلل للآثار، وعنه تعلّم رسم الحديث أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وإسحاق بن إبراهيم وأبو خيثمة وسائر أئمتنا.

وقال أحمد العجلي: كان يحيى بن سعيد نقي الحديث، لا يُحدّث إلا عن ثقة.

ومن أقوال يحيى بن سعيد في الحث على تمييز الحديث الصحيح من الحديث الضعيف: لا تنظروا إلى الحديث، ولكن انظروا إلى الإسناد، فإن صح الإسناد وإلا فلا تغتروا بالحديث إذا لم يصح الإسناد.

ونختم ترجمة يحيى بن سعيد القطان بما رواه الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد بإسناد مسلسل بالثقات المتقنين، قال: أخبرنا أبو نُعيم الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، قال: حدثنا معاذ بن المثنى، قال: سمعت علي بن المديني يقول: سمعت يحيى بن القطان يقول: لزمْتُ شعبة عشرين سنة، فما كنت أرجع من عنده إلا بثلاثة أحاديث، وعشرة، أكثر ما كنت أسمع منه في كل يوم.

توفي يحيى بن سعيد القطان رحمه الله في البصرة سنة ١٩٨ هجرية وعمره ٧٨ عاما.

٢٣ سفيان بن عيينة المكي

قال ابن حبان: وُلِدَ سفيان بن عيينة بالكوفة وانتقل إلى مكة، وحجَّ أكثر من سبعين حجة، وكان سفيان رحمه الله من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين، ممن عني بعلم كتاب الله وكثرة تلاوته له وسهره فيه، وعني بعلم السنن، وواظب على جمعها والتفقه فيها إلى أن مات.

وقال الذهبي: الإمام الكبير، حافظ عصره، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، طلب الحديث وهو غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين، وأتقن، وجوّد، وجمع، وصنّف، وعُمّر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورجل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، ولقد كان خلقاً من طلبة الحديث يتكلفون الحج من أجل السماع من سفيان بن عيينة؛ لإمامته وعلو إسناده.

حفظ سفيان بن عيينة القرآن الكريم وهو ابن أربعة عشر عاماً، وبدأ يطلب الحديث وعمره خمسة عشر عاماً، وسمع وعُمّر ست عشرة سنة من أعلم التابعين بالحديث محمد بن شهاب الزهري في الحج قبل موت الزهري بسنة، فأعجب الزهري حرص سفيان على كتابة الحديث مع صغر سنة، فحدّثه بثلاثمائة حديث، وسمع سفيان من شيخه عمرو بن دينار وهو ابن تسع عشرة سنة، وهو أثبت الناس فيه، ورحل سفيان إلى اليمن مرتين في طلب العلم، ولقي معمر بن راشد الصنعاني محدّث اليمن، فسمع منه الحديث.

وبلغ عدد شيوخ سفيان بن عيينة الذين سمع منهم الحديث ٢٩٥ شيخاً، منهم أكثر من ثمانين شيخاً من التابعين الذين سمعوا الحديث من الصحابة رضي الله عنهم.

وبدأ سفيان يحدث طلاب العلم بما كتب من الحديث عن مشايخه وعمره ٣٥ سنة في حياة بعض شيوخه، واستمر يُحدث الناس ٥٥ عاماً، وبلغ عدد طلابه ٤٢٣ راوياً.

ومن أشهر أصحاب سفيان المكثرين عنه: عبد الله بن الزبير الحُمَيْدي، والشافعي، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وعبد الرزاق الصنعاني.

وأول حديث في صحيح البخاري ((إنما الأعمال بالنيات)) رواه البخاري عن شيخه عبد الله بن الزبير الحميدي عن سفيان بن عيينة قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وذكر الحديث.

قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز.

وقال أحمد العجلي: كان ابن عيينة ثبًا في الحديث، وكان حديثه نحوًا من سبعة آلاف.

وقال يحيى القطان: ما بقي أحد من شيوخه غير سفيان بن عيينة، وهو إمام منذ أربعين سنة.

وقال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحدًا أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة.

وقال الشافعي: ما رأيت أحدًا أحسن تفسيرًا للحديث من سفيان بن عيينة.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحدًا كان أعلم بالقرآن والسنن من سفيان بن عيينة.

وقال عبد الرزاق: ما رأيت بعد ابن جريج مثل ابن عيينة في حسن المنطق.

وكان طلاب الحديث يزدحمون على سفيان لسماع الحديث منه، وكان إذا رأى كثرة الطلاب حوله يُنشد:

خلت الديار فسدت غير مسود... ومن الشقاء تفردني بالسؤدد

والسبب في ازدحام المحدثين عليه علو إسناده، فقد بكر بطلب العلم من صغره، وطال عمره، ومات شيوخه وأقرانه، وبقي يحدث وحده بأسانيد عالية جدا، فقد كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم راويان فقط في كثير من الأحاديث، فهو يروي عن الزهري عن أنس بن مالك وسهل بن سعد الأنصاريان عن رسول الله، ويروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن رسول الله، ويروي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن رسول الله، ويروي عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب عن رسول الله، ويروي عن أبي الزبير المكي عن جابر الأنصاري عن رسول الله، ويروي عن محمد بن المنكدر عن أبي هريرة وعائشة وجابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه أسانيد عالية جدا كان طلاب العلم

لا يجدونها إلا عند ابن عيينة بعد موت شيوخه وأقرانه قبله بسنين عديدة، وكان سفيان شاركهم في الرواية عن بعض التابعين، فمثلا مات معمر بن راشد قبله بأربعة وأربعين عاما، ومات سفيان الثوري قبله بسبعة وثلاثين عاما، ومات مالك بن أنس قبله بتسعة عشر عاما.

ومن أخباره مع طلاب العلم ما رواه تلميذه سليمان بن مطر قال: كنا على باب سفيان بن عيينة فاستأذنا عليه فلم يأذن لنا، فقلنا: نهجم عليه، فدخلنا وهو جالس، فنظر إلينا فقال: سبحان الله! دخلتم داري بغير إذني! وقد حدثنا الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا اطلع في جحر من باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به رأسه فقال: ((لو علمت أنك تنظرني لطعنت بما في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل النظر))، فقلنا له: ندمنا يا أبا محمد، فقال: ندمتم؟ حدثنا عبد الكريم الجزري عن زياد عن عبد الله بن معقل عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الندم توبة))، اخرجوا.

وكان سفيان مع علمه بالقرآن والحديث فقيها مفتيا، وكان إذا سُئل عما لا يعلم يقول: لا أحسن، فيقول له طلابه: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء، وسل الله التوفيق.

وكان سفيان بن عيينة زاهدا عابدا، عاملا بعلمه، ناصحا للكبار والصغار، قال أحمد بن حنبل: دخل سفيان بن عيينة على معن بن زائدة أمير اليمن فجعل يعظه.

وبكى سفيان مرة عند طلابه وأنشد:

اعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي ... يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وكان سفيان يُكثّر من إنشاد هذا البيت:

إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ ... فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةٌ

ومن أقوال سفيان بن عيينة ومواعظه:

قال: من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر ، وذاك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره.

وقال: الزهد في الدنيا الصبر وارتقاب الموت.

وقال لطلاب العلم: ما شيء أضر عليكم من ملوك السوء وعلم لا يُعمل به.

وقال: ليس العالم الذي يعرف الخير والشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه.

وقال: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

وقال: لا تصلح عبادة إلا بزهد، ولا يصلح زهد إلا بفقه، ولا يصلح فقه إلا بصبر.

وقال: ما تنعم متنعمٌ بمثل ذكر الله.

وقال: من طلب الحديث فقد بايع الله.

ونُحتم ترجمة سفيان بن عيينة بحديث وأثر مما رواهما سفيان:

قال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٣٥٥): حدثنا سفيان بن عيينة، وقال أحمد بن حنبل في مسنده (٦٤٩٤): حدثنا سفيان بن عيينة، وقال أبو داود (٤٩٤١): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومسدد قال: حدثنا سفيان بن عيينة، وقال الترمذي (١٩٢٤): حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)).

وقال أحمد في مسنده (٩٣٢): حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد خير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر).

توفي سفيان بن عيينة رحمه الله في مكة سنة ١٩٨ هجرية وعمره ٩١ عاما.

٢٤) عبد الرحمن بن مهدي البصري

قال عنه الذهبي: الإمام، الناقد، المجوّد، سيد الحفاظ، طلب الحديث النبوي وهو ابن بضع عشرة سنة، وكان إماماً، حجة، قدوة في العلم والعمل.

وقال أحمد بن حنبل: عبد الرحمن ثقة، من معادن الصدق.

وقال علي بن المديني: أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي، لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي.

وقال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن.

وقال أبو نعيم: عبد الرحمن بن مهدي الإمام الرضي، ناقد الآثار، وحافظ الأخبار، كان للسنن والآثار تابعا، وللآراء والأهواء دافعا.

أدرك عبد الرحمن بن مهدي عدة من التابعين الذين يروون الحديث عن الصحابة مباشرة، وبلغ عدد شيوخه ١٧٥ شيخاً، وسمع الحديث من كثير من الأئمة الحفاظ من أتباع التابعين، ولزم مالك بن أنس زمناً طويلاً، ولزم سفيان الثوري كثيراً حتى مات سفيان عنده.

قال تلميذه أحمد بن حنبل: كأن عبد الرحمن بن مهدي خُلِقَ للحديث، وكان يحب أن يُحدّث بالحديث باللفظ لا بالمعنى، ما كان أشدّ تتبعه للألفاظ!

وقال عبيد الله بن عمر القواريري: أملى عبد الرحمن بن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً.

قال عبد الرحمن بن مهدي: يحرم على الرجل أن يروي حديثاً في أمر الدين حتى يتقنه ويحفظه كالأية من القرآن.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما خصلة تكون في المؤمن بعد الكفر بالله أشد من الكذب، وهو أشد النفاق.

وقال ابن مهدي: لا يجوز أن يكون الرجل إماما حتى يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شيء، وحتى يعلم بمخارج العلم، ولا يكون إماما في العلم من يُحدّث بكل ما سمع، ولا يكون إماما في العلم من يُحدّث عن كل أحد، ولا يكون إماما في العلم من يحدث بالشاذ من العلم.

وكان عبد الرحمن بن مهدي ممن جمع بين العلم والعبادة والورع منذ بدأ يطلب العلم وإلى أن مات، فكان يحيي الليل بالعبادة، وكان ورده كل ليلة نصف القرآن، وكان يحج كل عام، ولما مات أخوه وأوصى إليه قام على أيتامه، وترك الحج، واستصلح أرضا كبيرة للأيتام.

قال شيخه عبد الله بن المبارك: ابن مهدي منذ عرفناه يزداد كل يوم خيرا.

وسمع العلم من ابن مهدي كثير من الطلاب، وبلغ عدد طلابه الذين رووا عنه الحديث ١٢٤ طالبا، وكان مجلسه الذي يسمع منه الطلاب الحديث مجلس حلم ووقار، تعظيما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أحمد بن سنان: كان لا يُحدّث في مجلس عبد الرحمن، ولا يُرى قلم، ولا يتبسم أحد، ولا يقوم أحد قائما، كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في صلاة، فإذا رأى أحدا منهم تبسم أو تحدّث لبس نعله وخرج.

وكان ابن مهدي مع علمه بالحديث وتوسعه فيه فقيها كبيرا، قال تلميذه أحمد بن حنبل: كان ابن مهدي يتوسع في الفقه، وهو من أئمة المسلمين.

وذكر الإمام علي بن المديني الفقهاء السبعة من التابعين فقال: كان أعلم الناس بقولهم وحديثهم: ابن شهاب الزهري، ثم بعده مالك، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدي.

وفقهاء التابعين السبعة المشهورون في المدينة النبوية هم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكلهم من أبناء الصحابة إلا سليمان بن يسار، وقد جمعهم الناظم في قوله:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر... روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عُبيد الله عروهُ قاسم ... سعيدٌ أبو بكرٍ سليمانُ خارجة

ونُختم ترجمة عبد الرحمن بن مهدي بذكر حديث من أحاديثه من صحيح الإمام مسلم، قال مسلم رحمه الله رقم الحديث (١٨١): حدثنا عُبيد الله بن عمر بن ميسرة، قال: حدثني عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل)). حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد، وزاد ثم تلا هذه الآية: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦].

توفي عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله في البصرة سنة ١٩٨ هجرية وعمره ٦٣ عاما.

٢٥) يزيد بن هارون الواسطي

قال عنه الذهبي: الحافظ الإمام، القدوة شيخ الإسلام، أبو خالد الواسطي، كان رأسا في العلم والعمل، ثقة، حجة، كبير الشأن.

قال علي بن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ما رأيت أحدا أتقن حفظا من يزيد بن هارون.

وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد حافضا متقنا.

وقال يحيى بن يحيى التميمي: هو أحفظ من وكيع.

وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله ممن كان يحفظ حديثه كله، وعمي في آخر عمره.

وقال تلميذه زياد بن أيوب: ما رأيت ليزيد كتابا قط، ولا حدثنا إلا حفظا!

وقال علي بن شعيب: سمعت يزيد بن هارون يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر.

وكان يزيد بن هارون ممن جمع بين علم الحديث والفقه، قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل قيل له: يزيد بن هارون له فقه؟ قال: نعم، ما كان أذكاه، وأفهمه، وأفطنه!

وكان يزيد بن هارون من العلماء العاملين بعلمهم، وكان كثير الصلاة، وكان يحرص أن يكون ممن قال الله عنهم: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات: ١٧، ١٨]، {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان: ٦٤].

قال أحمد بن سنان القطان: ما رأينا عالما قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار، كان هو وهشيم بن بشير معروفين بطول صلاة الليل والنهار.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: يزيد بن هارون ثقة، ثبت، متعبد، حسن الصلاة جدا، وكان يصلي الضحى ست عشرة ركعة.

وقال عاصم بن علي: كان يزيد بن هارون إذا صلى العشاء لا يزال قائما حتى يصلي الفجر بذلك
الوضوء نيفا وأربعين سنة!!

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: قال رجل ليزيد بن هارون: كم جزؤك [أي وُردك من القرآن الذي تقرؤه
كل ليلة]؟ فقال يزيد: وأنام من الليل شيئا؟ إذا لا أنام الله عيني!

ولما قدم يزيد بن هارون بغداد ازدحم عليه أهل بغداد لجلالته، وعلو إسناده، وكان يُقال: إن في مجلسه
سبعين ألفا من طلاب العلم يكتبون عنه الحديث.

وكان يزيد بن هارون من الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وكان ينهى عن البدع، ويحث الناس
على التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وروى يوما حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة))،
فقال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم!!

وامتدحه شاعرٌ ذاكرا روايته عن يحيى بن سعيد الأنصاري وداود بن أبي هند فقال:

يشفي العليل إذا ما قال حَدَّثَنَا ... يحيى فيا لك من ذي منطقي حسن

أو قال أخبرنا داود مبتدئا ... والعلم والدر منظومان في قرن

ما زال مذ كان طفلا في شببته ... حتى علاه مشيب الرأس والذقن

مباركا هاديا للناس مُحْتَسِبا ... على الأنام بلا منٍّ ولا ثمن

إذا بدا خلْتُ بدرًا عند طلعتة ... نورًا حباه به الرحمن ذو المنن

يظل منعفراً لله مبتهلاً ... يدعو الإله بقلب دائم الحزن

كُتِبَ يزيد بن هارون عن شيوخه آلاف الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وبلغ عدد شيوخه ١٦١ شيخا،
وبلغ عدد طلابه ٢٢٦ من الرواة المشهورين، وأصحاب الكتب الستة: البخاري ومسلم والترمذي وأبو
داود والنسائي وابن ماجه كلهم يروون عن طلاب يزيد بن هارون، فيكون بينهم وبين يزيد بن هارون
راوٍ واحد فقط، أما أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة فيرويان عن يزيد بن هارون مباشرة، فهما من

طلابه، وبلغت أحاديث يزيد بن هارون أكثر من عشرين ألفاً من الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين التي رواها يزيد بن هارون بالأسانيد عن شيوخه، وتابعه على روايتها غيره من رواة الحديث رحمهم الله.

ونُختم ترجمة يزيد بن هارون بحديث من أحاديثه مع ذكر بعض من تابعه على روايته:

قال الإمام الترمذي في سننه حديث رقم (٤٠٢): حدثنا أحمد بن منيع قال: حدثنا يزيد بن هارون عن أبي مالك الأشجعي قال: قلت لأبي: يا أبة، إنك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب هاهنا بالكوفة نحواً من خمس سنين، أكانوا يقتنون؟ قال: أي بُني مُحدث. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم، وقال سفيان الثوري: إن كنت في الفجر فحسن، وإن لم يقتن فحسن، واختار أن لا يقتن، ولم ير ابن المبارك القنوت في الفجر. وأبو مالك الأشجعي اسمه سعد بن طارق بن أشيم. انتهى كلام الترمذي رحمه الله.

وروى هذا الحديث أحمد بن حنبل في مسنده (١٥٨٧٩) عن شيخه يزيد بن هارون.

وروى هذا الحديث أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (٦٩٦١، ٦٩٦٣) عن شيخه حفص بن غياث وابن إدريس عن أبي مالك الأشجعي.

ورواه ابن ماجه (١٢٤١) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨١٧٨) عن شيخه عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون.

ورواه الطبراني أيضاً (٨١٧٧، ٨١٧٩) من طريق أبي عوانة وحفص بن غياث وابن إدريس عن أبي مالك الأشجعي، فتبين أنه تابع يزيد بن هارون على رواية هذا الحديث عن التابعي أبي مالك الأشجعي ثلاثة من الرواة الثقات، وهم: أبو عوانة الوضاح اليشكري وحفص بن غياث وعبد الله بن إدريس.

توفي يزيد بن هارون رحمه الله بواسط سنة ٢٠٦ هجرية وعمره ٨٨ عاماً.

إذا دُكر المحدثون في القرن الثالث الهجري فعبد الرزاق الصنعاني النجم، كل أصحاب الكتب الستة: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه يروون عن مشايخهم عن عبد الرزاق، فيبينهم وبين عبد الرزاق راوٍ واحد، وبين عبد الرزاق وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة فقط، فهو يروي عن مشايخه أتباع التابعين عن التابعين عن الصحابة، فيروي عن مَعمر عن قتادة عن أنس بن مالك، وعن مالك عن نافع عن ابن عمر، وعن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس، وعن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وعن معمر عن همام بن مُنَبِّه عن أبي هريرة، وعن الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب، ولعبد الرزاق كتابٌ كبير مطبوع باسم مصنّف عبد الرزاق الصنعاني فيه ما يقارب عشرين ألف حديث وأثر سنتكلم عنه لاحقاً، وله كتاب التفسير مطبوع في ثلاثة مجلدات فيه ٣٧٥٥ رواية في التفسير يرويها عبد الرزاق بأسانيدته عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين.

قال الذهبي: عبد الرزاق بن همام الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الصنعاني، شيخ الإسلام، ومحدث الوقت، احتج به كل أصحاب الصّحاح، كان صادقاً مأموناً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وارتحل في طلب العلم إلى الحجاز والشام والعراق، وكتب شيئاً كثيراً، وصنّف الجامع الكبير، وهو خزانة علم.

وقال ابن حجر: ثقة حافظ، مصنّفٌ شهير.

وقال تلميذه الإمام أحمد بن حنبل: كتّب عبد الرزاق ثُلثي العلم!

وقال أحمد بن صالح المصري: قلت لأحمد بن حنبل: رأيت أحسن حديثاً من عبد الرزاق؟ قال: لا.

بلغ عدد شيوخ عبد الرزاق ٧٨ شيخاً، من أشهرهم: هشام بن حسان وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ومعمر بن راشد وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وعبيد الله بن عمر العُمري وهُشَيْم بن بشير والفُضَيْل بن عياض وأبو بكر بن عياش المقرئ المشهور والإمامان مالك بن أنس وأبو حنيفة ومقاتل بن سليمان صاحب التفسير.

قال عبد الرزاق: لزمت معمر بن راشد ثمانين سنين.

وقال أبو زرعة الدمشقي: قلت لأحمد بن حنبل: كان عبد الرزاق يحفظ حديث معمر؟ قال: نعم، قيل له: فمن أثبت في ابن جريج: عبد الرزاق أو محمد بن بكر البرساني؟ قال: عبد الرزاق.

وقال قاضي صنعاء هشام بن يوسف الصنعائي رفيق عبد الرزاق في طلب العلم: كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا.

ومع حفظ عبد الرزاق إلا أن حفاظ الحديث الكبار عندما رحلوا إليه كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين حرصوا أن يكتبوا عنه الأحاديث من أصوله المحفوظة التي كتبها عن شيوخه، ولم يكتبوا عنه شيئاً منها من حفظه، فكانوا ينسخونها من كتبه ثم يقرؤها عليهم عبد الرزاق من كتابه وهم ينظرون في كتبهم التي نسخوا فيها تلك الأحاديث، فكتبوا عنه حديثه - وهو كثير جدا - بهذه الدقة والتحري.

قال أحمد بن حنبل: كتبنا كتب عبد الرزاق على الوجه أي: على الصواب.

وقال يحيى بن معين: قال لي عبد الرزاق: اكتب عني حديثاً واحداً من غير كتاب. قلت: لا، ولا حرف.

قال أحمد بن حنبل: قدمت صنعاء اليمن أنا ويحيى بن معين وقت صلاة العصر، فسألنا عن منزل عبد الرزاق، فقيل لنا: بقرية يقال لها: الرمادة، وبينها وبين صنعاء قريب، فسألت عن منزله فلما ذهبت أدق الباب قال لي قائل تجاه داره: مه! لا تدق، فإن الشيخ مهيب، فجلست حتى إذا كان قبل صلاة المغرب خرج عبد الرزاق لصلاة المغرب، فوثبت إليه، وفي يدي أحاديث قد انتقيتها، فقلت له: سلامٌ عليكم، تحدثني بهذه الأحاديث رحمك الله؛ فإنني رجل غريب. فقال لي: ومن أنت؟ ورَّحَبَ بي، فقلت: أنا أحمد بن حنبل، فضمني إليه، وقال: بالله أنت أبو عبد الله؟! ثم أخذ الأحاديث فقرأها عليّ.

قال أحمد بن حنبل: ما كان في قرية عبد الرزاق بئر، فكنا نذهب بُبْكر على ميلين نتوضأ، ونحمل معنا الماء.

قلت: أخبرنا شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني علّامة صنعاء ومفتيها عن مكان قرية عبد الرزاق، وهي الآن قرية خراب تقع شرقي العاصمة صنعاء في منطقة تُسمَّى حمراء عَلب جنوب جبل

نقم، وقد زرتها ورأيت فيها جبلا صغيرا في جانبه الشرقي قبر عبد الرزاق الصنعاني، وبجوار القبر مسجد خراب بلا سقف ولا جدران، لم يبق منه إلا المحراب.

وقد كان طلاب العلم يرحلون من مختلف البلدان إلى عبد الرزاق الصنعاني لكتابة حديثه، وبلغ عدد طلابه المشهورين ١١١، منهم: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وإسحاق بن راهويه ومحمد بن يحيى الذهلي وإسحاق بن منصور الكوسج وأبو خيثمة زهير بن حرب وعبد بن حميد ومحمد بن رافع النيسابوري وأحمد بن صالح المصري ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني ومحمود بن غيلان المروزي وإسحاق بن إبراهيم الدبيري الصنعاني، وهو آخر من حدث عنه.

قال الحافظ ابن عدي: لعبد الرزاق حديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم، وكتبوا عنه، ولم يروا بحديثه بأساً، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع.

قلت: كان عبد الرزاق الصنعاني كثير المحبة جدا لأهل البيت عليهم السلام، وهم أهل لأن يُحبوا، فحُبُّهم من الدين، ولكن عاب عليه العلماء أنه روى في فضائلهم أحاديث باطلة مما سمع من بعض الكذابين، وكان يذكر بعض القصص والأخبار التي ليس لها إسناد صحيح، ولو أنه اقتصر على رواية ما صح من فضائلهم وترك الأخبار الباطلة التي رواها الضعفاء والوضاعون لأحسن، ومع ذلك فقد قال عبد الرزاق: "ما انشرح صدري قط أن أُفضِّل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر، فرحمهما الله، ورحم عثمان وعلياً، من لم يحبهم فما هو بمؤمن، أوثق عملي حيي إياهم".

وكان عبد الرزاق الصنعاني من أهل السنة والحديث، قال عبد الرزاق: كان معمر وابن جريج وسفيان الثوري ومالك وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، قال عبد الرزاق: وأنا أقول ذلك، الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وإن خالفتم فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين.

نبذة عن مصنف عبد الرزاق:

كتاب مصنف عبد الرزاق مطبوع في ١١ مجلدا كبيرا، بتحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي الهندي، وقد اشتمل هذا الكتاب على (١٩٤١٨) نصاً مسنداً، بعضها أحاديث نبوية، وبعضها آثار عن الصحابة أو التابعين وأتباعهم، رتبها عبد الرزاق الصنعاني في (٣١) كتاباً، اشتمل كل كتاب على عددٍ من الأبواب، وفي كل باب يروي عبد الرزاق بأسانيده بعض الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة، فأول

كتاب فيه كتاب الطهارة ثم كتاب الحيض وكتاب الصلاة وفضائل القرآن والزكاة والصيام والمناسك والجهاد والمغازي والنكاح والطلاق والبيوع والشهادات والأيمان والندور والأشربة والفرائض وغير ذلك.

وقد طُبع في آخر الكتاب جامع معمر بن راشد البصري ثم الصنعاني المتوفى سنة ١٥٤ هجرية، ويشتمل جامع معمر على (١٦١٤) حديثاً وأثراً، يرويها كلها عبد الرزاق الصنعاني عن شيخه معمر بن راشد عن شيوخه من التابعين.

ومصنّف عبد الرزاق من أكبر دواوين السنة النبوية، والأحاديث والآثار التي فيه نجدها في غيره من كتب الحديث، فالحديث الذي يرويّه عبد الرزاق في مصنفه إن بحث عنه فقد تجده في صحيح البخاري أو في صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق بنفس الإسناد والمتن؛ لأن البخاري ومسلما يرويان أحاديث عبد الرزاق من طريق مشايخهما عن عبد الرزاق، وأيضاً نجد كثيراً من أحاديث عبد الرزاق في مسند تلميذه أحمد بن حنبل بنفس الإسناد والمتن، وقد عددت بواسطة برنامج المكتبة الشاملة أحاديث عبد الرزاق في الكتب الستة وفي مسند أحمد بن حنبل وفي معجم الطبراني الكبير وفي تفسير ابن جرير الطبري فوجدتها نحو أربعة آلاف وخمسمائة حديث وأثر.

وسأذكر هنا حديثاً من مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ثم أذكر بعض من أخرجه من المحدثين من طريق عبد الرزاق ومن طريق غيره، وأذكر بعض من تابع عبد الرزاق على روايته مع ذكر رقم الحديث من كل كتاب:

قال عبد الرزاق (٢٦٤٤): عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قال الإمام: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاحة: ٧] فقولوا: آمين، فإن الملائكة تقول: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)).

ثم قال عبد الرزاق (٢٦٤٥): عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر مثل حديث الزهري.

فروى عبد الرزاق هذا الحديث من طريقين، الطريق الأول بإسناد رباعي بينه وبين الرسول فيه أربعة رواة، والطريق الثاني بإسناد ثلاثي بينه وبين الرسول فيه ثلاثة رواة.

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل من طريق عبد الرزاق فقال في مسنده رقم (٧٦٦٠): حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قال الإمام: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فقولوا: آمين، فإن الملائكة يقولون: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)).

وروى هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه من طريق عبد الرزاق فقال (٤١٠): حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

ورواه ابن حبان في صحيحه (١٨٠٤) أيضا من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ورواه البخاري من غير طريق عبد الرزاق فقال في صحيحه: (٧٨٢): حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سُمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قال الإمام: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)). تابعه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتُعيم المحمر عن أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى كلام البخاري.

ورواه النسائي (٩٢٧) من غير طريق عبد الرزاق فقال: أخبرنا إسماعيل بن مسعود قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثني معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا قال الإمام {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فقولوا: آمين؛ فإن الملائكة تقول: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)).

فتبين أن يزيد بن زريع تابع عبد الرزاق الصنعاني في رواية هذا الحديث عن شيخهما معمر، وتبين أنه رواه عن أبي هريرة غير واحد من طلابه، وقد روى هذا الحديث الإمام مسلم بأسانيد كثيرة، وإنما ذكرت هنا بعض المتابعات والأسانيد لتوضيح أن الحديث المذكور في مصنف عبد الرزاق يرويه غيره من رواة الحديث كما رواه عبد الرزاق، ويروونه أيضا بأسانيد أخرى فيها متابعات لعبد الرزاق.

هذا هو عبد الرزاق الصنعاني، وهذا هو كتابه، فحق لأهل اليمن أن يفخروا بعبد الرزاق الصنعاني، وأن يهتموا بكتابه، ولهذا الكتاب مخطوطات عديدة في كثير من مكتبات العالم، وللأسف لم يتم بطبعه ونشره إلا بعض علماء الهند جزاهم الله خيرا، وكان الأجدر بأهل اليمن أن يتولوا طبعه وتحقيقه ونشره، ولا يزال مصنف عبد الرزاق محتاجا إلى تحقيق متقن، تُخرَج فيه الأحاديث والآثار من كتب الحديث، فخدمة الكتاب كما يليق به دَيْنٌ على العلماء وطلاب العلم؛ لأن طبعته المنشورة قديما ينقصها التخريج والتحقيق.

توفي عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله بصنعاء سنة ٢١١ هجرية وعمره ٨٥ عاما.

٢٧ أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن الكوفي

كان أبو نُعَيْم من حفاظ الحديث وأثبتهم، وكان عالما بالشيوخ وأنسابهم، وكتب الحديث عن ٣١١ شيخا، ومن أشهر مشايخه: سليمان الأعمش وشعبة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك، ولما نظر شيخه عبد الله بن المبارك في كتبه التي كتب فيها الحديث عن مشايخه أعجبه إتقانه في كتابة الحديث، وقال له: ما رأيت أصح من كتبك.

وكان أبو نُعَيْم قد بكَر بكتابة الحديث من أول شبابه، وهذا من أسباب كثرة مشايخه الذين كَتَب عنهم الحديث، حتى أنه شارك بعض شيوخه في الكتابة عن مشايخهم، قال أبو نُعَيْم: شاركت سفيان الثوري في أكثر من أربعين شيخا.

وبلغ عدد طلابه ١٦٦ راويا، ومن أشهرهم: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه وأبو خيثمة زهير بن حرب وأبو بكر ابن أبي شيبة ومحمد بن يحيى الذهلي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعبد بن حميد وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي، وحَدَّث عنه البخاري كثيرا في صحيحه، فأبو نُعَيْم من كبار شيوخ البخاري.

قال محمد بن سعد: كان أبو نُعَيْم ثقة مأمونا كثير الحديث حُجَّة.

وقال أحمد بن صالح المصري: ما رأيت محدِّثا أصدق من أبي نُعَيْم.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار: أبو نُعَيْم متقنٌ حافظ.

وقال ابن حبان: كان حافظا متقنا ثبَّتا.

وقال الحافظ يعقوب بن سفيان: أجمع أصحابنا أن أبا نُعَيْم كان غاية في الإتقان.

وقال أبو حاتم: كان أبو نُعَيْم حافظا، متقنا، لم أر من المحدثين من يحفظ ويأتي بالحديث على لفظ واحد لا يُغَيِّرُه سوى قبيصة وأبي نُعَيْم في حديث الثوري، وكان أبو نُعَيْم يحفظ حديث الثوري حفظا جيدا، وكان عنده من حديث الثوري ثلاثة آلاف وخمسمائة حديث، وكان يحفظ حديث مسعر بن كدام، وهو خمسمائة حديث.

وقال أبو حاتم أيضا: سألت علي بن المديني: من أوثق أصحاب الثوري؟ قال: يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وأبو نعيم.

وقال الذهبي: أبو نعيم الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، كان شريكا لعبد السلام بن حرب في حانوت بالكوفة، وكان كذلك غالب علماء السلف، إنما يُنفقون من كسبهم.

ونذكر في ترجمته هذه القصة الطريفة: قال أحمد بن منصور الرمادي: خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين إلى عبد الرزاق الصنعاني، فلما عدنا من صنعاء إلى الكوفة قال يحيى بن معين: أريد أن أختبر أبا نعيم، فنهاه أحمد وقال له: الرجل ثقة. قال يحيى: لا بد لي أن أختبر حفظه، فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثا من أحاديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه، [أي: فإن تبين لأبي نعيم أن الأحاديث الثلاثة ليست من حديثه فهو حافظ لحديثه متقن متيقظ]، ثم جاءوا إلى أبي نعيم، فخرج وجلس ليحدثهم، وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه، ويحيى بن معين عن يساره، ثم أخرج يحيى بن معين الورقة فقرأ على أبي نعيم عشرة أحاديث، فلما قرأ الحديث الحادي عشر قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، ثم قرأ العشرة الأحاديث الثانية، وأبو نعيم ساكتٌ مقرٌ بأنها من أحاديثه التي يحفظها، حتى قرأ يحيى الحديث الثاني الذي ليس من حديثه، فتنبه أبو نعيم وقال: ليس هذا من حديثي، ثم قرأ يحيى بقية الأحاديث حتى قرأ الحديث الثالث الذي ليس من حديثه، فتغير أبو نعيم وغضب، وعلم أن يحيى بن معين يختبره، فرفسه حتى رمى به، وقام ودخل بيته، فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك من اختباره وأقل لك: إنه ثبت؟! فقال يحيى بن معين: والله لرفسته لي أحب إليّ من سفرتي، يعني لأنه تأكد من قوة حفظ أبي نعيم وإتقانه لحديثه.

وكان في أبي نعيم تشيع خفيف، قال الذهبي: كان أبو نعيم يتشيع من غير غلو ولا سب.

قال أبو نعيم: حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبادة، وما كتبت عليّ الحفظه أني سببت معاوية.

وقد روى أبو نعيم ما يُبطل عقيدة الشيعة في دعواهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب، قال الإمام البخاري (٤٤٦٠): حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا، أوصى بكتاب الله.

وروى هذا الحديث مسلم (١٦٣٤) فقال: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال: أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بن مَعُول، فذكر الحديث، فتبين أن عبد الرحمن بن مهدي تابع أبا نُعيم في رواية هذا الحديث.

وقد روى البخاري (٢٧٤١) ومسلم (١٦٣٦) من طريق التابعي الجليل الأسود النخعي قال: ذكروا عند عائشة أن علي بن أبي طالب كان وصيا، فقالت: متى أوصى إليه؟ فقد كنت مسندته إلى صدري حين مات، فمتى أوصى إليه؟!

ومعلوم عند أهل العلم الراسخين ومنهم أهل البيت المنصفون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص بالخلافة لأحد، ولا يوجد نصٌّ على ذلك من القرآن ولا السنة، ولا قال ذلك أحدٌ من سلف الأمة.

العلمُ قال الله قال رسوله ... قال الصحابةُ ليس بالتمويه

ما العلمُ نصبُك للخلاف سفاهةٌ ... بين الرسول وبين رأي فقيه

قال أبو نُعيم: عليكم بالآثار، العلم ما كان عليه من مضي من السلف.

ونُختم ترجمة أبي نُعيم الفضل بن دكين بحديثين من صحيح البخاري ومعجم الطبراني الكبير:

قال الإمام البخاري (٦٢٦٥): حدثنا أبو نُعيم قال: حدثنا سيف بن سليمان قال: سمعت مجاهدا يقول: حدثني عبد الله بن سَخْبَرَة أبو معمر قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: علّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكفّني بين كفيه - التشهد كما يعلمني السورة من القرآن: ((التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)).

وقال الحافظ الطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ١٢٥): حدثنا فضيل بن محمد المَلْطِي قال: حدثنا أبو نُعيم قال: حدثنا مالك بن مَعُول عن الحكم بن عُثَيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عُجْرَة قال: ألا أهديك هدية، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول؟ قلت: بلى، قال: قال رجل: يا رسول الله قد علّمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى

آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)).

وقد روى البخاري حديث كعب بن عُجرة في الصلاة الإبراهيمية من غير طريق أبي نُعيم (٤٧٩٧) فقال: حدثني سعيد بن يحيى بن سعيد قال: حدثنا أبي قال: حدثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة، وذكر الحديث.

ورواه مسلم (٤٠٦) فقال: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالوا: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عُجرة، وذكر الحديث.

فرحم الله أبا نُعيم، ورحم المحدثين الذين حفظوا لنا أحاديث نبيه، وجزاهم عن حفظ دينه خير الجزاء.

توفي أبو نُعيم الفضل بن دُكين رحمه الله في الكوفة بالطاعون سنة ٢١٩ هجرية وعمره ٨٩ عاما.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان يحيى بن معين إماما ربانيا، عالما، حافظا، ثبّتا، متقنا.

وقال الذهبي: هو الإمام، الحافظ، الجّهّذ، شيخ المحدثين، أبو زكريا يحيى بن معين البغدادي، أحد الأعلام، كان له هبة وجلالة، ويركب البغلة، ويتحمل في لباسه.

بدأ في كتابة الحديث وهو ابن عشرين سنة، وكان أبوه غنيا فلما مات خلّف لابنه يحيى مالا كثيرا، فأنفقه كله في جمع الحديث وكتابته بأسانيده، فرحل إلى مدن العراق والحجاز واليمن والشام ومصر، وبلغ عدد شيوخه الذين كتب عنهم الحديث ١٦٠ شيخا، وبلغ عدد الأحاديث والآثار التي كتبها بيده ألف ألف حديث وأثر صحيح وضعيف وموضوع، كتبها كلها بالأسانيد المتعددة؛ ليعرف ما رواه الثقات وما رواه الضعفاء وما رواه الكذابون، فقد كان يكتب كل حديث بأسانيده ولو تكررت، وربما كتب الحديث خمسين مرة ولا يمل، وكانت دفاتره التي كتب فيها الأحاديث شيئا كثيرا جدا، وكان مع ذلك يعرف موضع الحديث الذي يريد أن يبحث عنه!

قال يحيى بن معين: لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه.

قال علي بن المديني: ما أعلم أحدا كتب من الحديث ما كتب يحيى بن معين.

وقال رفيقه في طلب العلم أحمد بن حنبل: يحيى بن معين خلقه الله للحديث، يعرف الخطأ، ويظهر كذب الكذابين، كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث.

وقال أبو عبيد الآجري: قلت لأبي داود: أيما أعلم بالرجال: يحيى بن معين أو علي بن المديني؟ قال: يحيى.

وقال عبد المؤمن النسفي: سألت أبا علي صالح بن محمد: من أعلم بالحديث: يحيى بن معين أو أحمد بن حنبل؟ فقال: أحمد أعلم بالفقه والاختلاف، وأما يحيى فأعلم بالرجال والكُنى.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: انتهى الحديث إلى أربعة: إلى أحمد بن حنبل وهو أفقهم فيه، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له وأعلمهم بصحيحه وسقيمه، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به، وإلى أبي بكر بن أبي شيبة وهو أحفظهم له.

ومن أخبار يحيى بن معين مع بعض شيوخه المحدثين الضعفاء، قال عباس الدوري: حدثنا يحيى بن معين قال: حضرت نعيم بن حماد بمصر، فجعل يقرأ كتابا صنفه، فقال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن عون، وذكر أحاديث. فقلت: ليس هذا عن ابن المبارك! فغضب، وقال: ترد عليّ؟! قلت: إي والله، أريد زينك. فأبى أن يرجع، فلما رأته لا يرجع، قلت: لا والله، ما سمعت هذه الأحاديث من ابن المبارك، ولا سمعها هو من ابن عون قط!! فغضب، وغضب من كان عنده، وقام فدخل فأخرج صحائف، فجعل يقول - وهي بيده -: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمر المؤمنين في الحديث؟ نعم يا أبا زكريا، غلطت، وإنما روى هذه الأحاديث غير ابن المبارك عن ابن عون.

وكان يحيى بن معين يميل في الفقه إلى مذهب أبي حنيفة، وكان يكثر جدا من قراءة آية الكرسي، ويقرؤها على أهله، وربما قرأها في الليلة خمسين أو ستين مرة، وكان يكثر من الحج.

وكان يحيى بن معين لا يكاد يُحدث؛ ولذلك قل طلابه الذين سمعوا منه الحديث، فعددهم ٦٢ طالبا فقط، منهم البخاري ومسلم وأبو حاتم الرازي وأبو زُرعة الرازي وأبو زُرعة الدمشقي وعباس الدوري وأبو يعلى الموصلي، لكن كان يحيى بن معين كثير التكلم في رواية الحديث، فقد كان عالما بأسمائهم وكناهم وأوطانهم ومشايخهم وتاريخ وفياتهم وأحوالهم، وكان يتكلم في تعديلهم وتاريخهم بعلم وإنصاف بعد أن جمع مروياتهم، وقارن بعضها ببعض، فتبين له الثقات المتقنون، والضعفاء في الحفظ، والكذابون الذين يروون ما لا أصل له.

قال الحافظ ابن حجر: يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل.

ومن أشهر كتب يحيى بن معين في الجرح والتعديل ثلاثة كتب مطبوعة:

الأول: سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين، فيه ٨٩٠ سؤالا في أسماء الرجال وكناهم وأحوالهم.

الثاني: تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي، وفيه ٩٧٥ سؤالا.

الثالث وهو أشهرها وأعظمها: تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري، وهو مطبوع في ٤ مجلدات، وفيه ٥٤٠٠ سؤالا وفائدة في أسماء الرجال وكناهم وأحوالهم.

ونختم هذه الترجمة ببعض النماذج من كتاب تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري؛ ليطلع القارئ الكريم على شيء يسير مما رواه الدوري عن يحيى بن معين في علم الرجال:

١. سمعت يحيى بن معين يقول: أبو بكر الصديق اسمه عبد الله بن عثمان.
٢. سمعت يحيى يقول: اسم أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاطمة بنت أسد بن هاشم.
٣. سمعت يحيى يقول: مات عمرو بن العاص سنة ثلاث وأربعين، ودُفن بمصر.
٤. سمعت يحيى يقول: الشعبي اسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل.
٥. سمعت يحيى يقول: جعفر بن محمد ثقة.
٦. سألت يحيى عن الحسن بن صالح فقال: ثقة.
٧. سمعت يحيى يقول: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ليس به بأس، وفيه ضعف.
٨. سمعت يحيى يقول: أبو الجارود: زياد بن المنذر، وهو كذاب خبيث.
٩. سمعت يحيى يقول: جابر الجعفي لا يُكتب حديثه ولا كرامته.
١٠. سمعت يحيى يقول: إبراهيم بن يزيد المكي هو إبراهيم بن يزيد الحوزي، وليس بثقة.
١١. سمعت يحيى يقول: عمرو بن خالد كوفي، يروي عن زيد بن علي عن آبائه، وهو غير ثقة ولا مأمون يعني عمرو بن خالد. قلت: عمرو بن خالد الواسطي هو الذي افتري على زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كتابا أسماه مسند زيد بن علي، يُنظر بحث: التحقيق في حال مسند الإمام زيد بن علي، وهو بحث مشهور ومنشور في شبكة الإنترنت.
١٢. سمعت يحيى يقول: أبو بكر الهذلي ليس بشيء.
١٣. سمعت يحيى يقول: ابن هبة لا يُحتج بحديثه.
١٤. سمعت يحيى يقول: صالح بن كيسان أكبر من الزهري، وقد سمع صالح بن كيسان من ابن عمر، ورأى ابن الزبير.
١٥. سمعت يحيى يقول: أبو أسامة أروى عن هشام بن عروة عن حماد بن سلمة، يروي عن هشام بن عروة ستمائة حديث.
١٦. سمعت يحيى يقول: سمع مكحول من واثلة بن الأسقع، وسمع من فضالة بن عبيد، وسمع من أنس بن مالك.
١٧. سمعت يحيى يقول: سمع عكرمة من أبي هريرة.

١٨. قيل ليحيى: عكرمة عن عائشة سمع منها؟ قال: لا أدري.
١٩. سمعت يحيى يقول: قد روى السُّدِّي عن أبي سعد عن سعيد بن جبير، قيل له: من أبو سعد هذا؟ قال: لا أدري.
٢٠. سمعت يحيى وسئل عن حديث قتادة عن أيمن عن أبي أمامة قال: لا أعرف أيمن.
- توفي يحيى بن معين رحمه الله في المدينة النبوية وهو ذاهب إلى الحج سنة ٢٣٣ هجرية وعمره ٧٥ عاماً، وحُمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الوالي، ودُفن بالبقيع، قال تلميذه عباس الدوري: مات يحيى بن معين فحُمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم، ونودي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٩ أبو خيثمة زهير بن حرب البغدادي

قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان ثقة، ثبتاً، حافظاً، متقناً.

وقال الذهبي: الحافظ الكبير، محدث بغداد، الحجة، أحد أعلام الحديث، نزل بغداد بعد أن أكثر التطواف في العلم، وجمع، وصنّف.

وقال أبو عمرو الداني: هو من عليّة أصحاب الحديث وأئمتهم، ومتقدميهم في الحفظ، والضبط، والصدق، والأمانة.

وقد كثرت شهادات أئمة الجرح والتعديل بتوثيقه، ومن ذلك:

قال يحيى بن معين: ثقة.

وقال محمد بن سعد: هو ثقة ثبت.

وقال النسائي: ثقة، مأمون.

وذكره ابن حبان في كتابه الثقات، وقال: كان متقناً ضابطاً، من أقران أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

وقال أبو داود: ما كان أحسن علمه!

بلغ عدد مشايخ أبي خيثمة زهير بن حرب: ١١١، وأما طلابه المشهورون بالرواية عنه فعددهم ٢٥ طالباً، ومن أشهرهم البخاري ومسلم وابنه أحمد بن أبي خيثمة صاحب التاريخ الكبير الذي روى فيه عن أبيه الكثير، وأبو يعلى الموصلي صاحب المسند الذي كتب عن أبي خيثمة حديثه كله، المرفوعات والموقوفات والتفسير، وعدد أحاديث زهير بن حرب المرفوعة في مسند أبي يعلى ١٦٣٧ حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أكثر الإمام مسلم أيضاً من الرواية عن زهير، ففي صحيحه أكثر من ٧٠٠ حديث من طريق زهير، ولنذكر حديثاً واحداً من أحاديث زهير من صحيح مسلم مع ذكر بعض من تابعه على روايته:

قال الإمام مسلم في صحيحه (٤٠١): حدثنا زهير بن حرب، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا همام، قال: حدثنا محمد بن جحادة، قال: حدثني عبد الجبار بن وائل، عن علقمة بن وائل عن أبيه وائل بن

حُجَّرَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ يَدَيْهِ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ كَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ اليمْنَى عَلَى الْيسْرَى، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ رَفَعَهُمَا ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ، فَلَمَّا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ.

ورواه أبو داود (٧٢٣) من طريق أخرى فقال: حدثنا عبيد الله بن عمر الجشمي، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: حدثنا محمد بن جُحادة، وذكر الحديث، وفيه: أن محمد بن جحادة قال: فذكرت ذلك للحسن البصري فقال: هي صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعله من فعله، وتركه من تركه.

ورواه ابن أبي شيبة (٣٩٣٨) من طريق ثالثة مختصرة فقال: حدثنا وكيع، عن موسى بن عُمَيْر، عن علقمة بن وائل بن حُجَر، عن أبيه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يمينه على شماله في الصلاة.

ورواه أحمد بن حنبل من عدة طرق نذكر منها هذا الطريق الرابع، قال أحمد في مسنده رقم (١٨٨٧١): حدثنا عبد الله بن الوليد، قال: حدثني سفيان، عن عاصم بن كُليب، عن أبيه، عن وائل بن حُجَر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم حين كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ حِذَاءَ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ حِينَ رَكَعَ، ثُمَّ حِينَ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ، ورأيتُه مُمْسِكًا يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا جَلَسَ حَلَّقَ بِالْوَسْطَى وَالْإِبْهَامِ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ.

وقد أشار الترمذي إلى حديث وائل بن حُجَر الحضرمي في باب ما جاء في وضع اليمين على الشمال في الصلاة، فروى بإسناده عن قبيصة بن هُلب الطائي عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَوَكَّفُ، فَيَأْخُذُ شِمَالَهُ بِيَمِينِهِ. قال الترمذي: وفي الباب عن وائل بن حُجَر، وعُطَيْف بن الحارث، وابن عباس، وابن مسعود، وسهل بن سعد. حديث هُلب حديث حسن، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتابعين، ومن بعدهم، يرون أن يضع الرجل يمينه على شماله في الصلاة، ورأى بعضهم أن يضعهما فوق السرة، ورأى بعضهم: أن يضعهما تحت السرة، وكل ذلك واسعٌ عندهم. انتهى كلام الترمذي.

ولزُهير بن حرب كتاب العلم، وهو كتاب صغير مطبوع بتحقيق الألباني، ذكر فيه ١٦٠ أثرًا وبعض الأحاديث في فضل العلم وآداب طالب العلم، نذكر منها ثلاثة آثار:

قال أبو خيثمة زهير بن حرب: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزُّعْرَاء، عن أبي الأَحْوَص، عن عبد الله بن مسعود قال: إِنَّ أَحَدًا لَا يُؤَلِّدُ عَالِمًا، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ.

حدثنا جرير عن أبي سنان عن سهل الفزاري قال: قال عبد الله بن مسعود: اغدُ عالِمًا أو متعلِّمًا أو مستمعًا، ولا تكونن الرابع فتهلك.

حدثنا وكيع، عن أبي كَبْرَانَ [واسمه: الحسن بن عقبة المرادي] قال: سمعت الشعبي قال: إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط.

توفي زهير بن حرب رحمه الله ببغداد سنة ٢٣٣ هجرية وعمره ٧٤ عاما.

٣٠ علي بن المديني البصري

قال الذهبي: الإمام، الحجة، أمير المؤمنين في الحديث، أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر البصري، المعروف: بابن المديني، برع في علم الحديث، وجمع، وصنّف، ويقال: إن تصانيفه بلغت مائتي مصنّف، وساد الحفاظ في معرفة العلل، قال غير واحد من الحفاظ: أعلم أهل زمانه بعِلل الحديث: علي بن المديني.

قال شيخه عبد الرحمن بن مهدي: علي بن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال النسائي: كأنّ الله خلق علي بن المديني لهذا الشأن.

وكان علي بن المديني قد رحل في طلب العلم إلى الحجاز واليمن، وبلغ عدد شيوخه ١٦٢، ومن أشهرهم سفيان بن عيينة، وكان سفيان يحب تلميذه علي بن المديني كثيرا، وكان يروي عن تلميذه ابن المديني بعض الأحاديث، ويقول: والله إني أتعلّم منه أكثر مما يتعلم مني، وربما سُئل سفيان عن شيء فيتمنى لو أن تلميذه علي بن المديني عنده ليسأله أو يستثبته!

ومن أشهر شيوخه أيضا: يحيى بن سعيد القطان، فقد لازمه علي بن المديني كثيرا، وأخذ عنه الكثير من علم أسماء الرجال وأحوالهم وعلل الحديث، ومع ذلك قال عنه شيخه يحيى القطان: نحن نستفيد من عليّ أكثر مما يستفيد منا!

وبلغ عدد طلاب علي بن المديني ٧١ طالبا، ومن أشهرهم: البخاري، وقد أكثر البخاري من الرواية عنه في صحيحه، ففي صحيح البخاري ٢٦٠ حديثا رواها البخاري من طريق شيخه ابن المديني.

قال البخاري: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني!

ومن كتب علي بن المديني المطبوعة ثلاثة كتب، هي:

تسمية من رُوي عنه من أولاد العشرة، وسؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني، وكتاب العلل.

وسنذكر للقارئ الكريم من كل كتاب منها نموذجا باختصار:

بدأ ابن المديني كتابه تسمية من رُوي عنه من أولاد العشرة بقوله: فاطمة بنت محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ولد فاطمة: الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين بن علي بن أبي طالب، ومن ولد الحسن بن علي: عبد الله بن حسن بن حسن بن علي، وحسن بن حسن بن علي، والحسن بن زيد بن حسن بن حسن بن علي، وعلي بن حسن بن حسن بن علي، ومحمد بن عمرو بن حسن بن علي، وزيد بن حسن بن حسن، ومن ولد الحسين بن علي: محمد بن علي، وعبد الله بن علي، وزيد بن علي، وعمر بن علي، وحسين بن علي، ومن ولد محمد بن علي: جعفر بن محمد بن علي، ومن ولد زيد بن علي: حسين بن زيد بن علي بن حسين. ثم قال: ومن ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: محمد بن علي بن الحنفية، وعمر بن علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت علي بن أبي طالب، ومن ولد محمد بن علي بن الحنفية: الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، ومن ولد عمر بن علي بن أبي طالب: محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

قلت: لم يذكر ابن المديني هنا كل أولاد علي بن أبي طالب، بل ذكر هنا من رُوي عنهم الحديث، ومعلوم عند علماء التاريخ والأنساب أن من أولاد علي أيضا: أبو بكر بن علي بن أبي طالب، وعثمان بن علي بن أبي طالب، ومن ذكر ذلك خليفة بن خياط ومحمد بن جرير الطبري في تاريخهما.

ومن كتاب سؤالات ابن أبي شيبة: قال ابن أبي شيبة: سألت علي بن المديني عن إسماعيل بن عياش فقال: كان يُوثَّق فيما روى عن أصحابه أهل الشام، فأما ما روى عن غير أهل الشام ففيه ضعف.

ومن كتاب العِلَل: قال علي بن المديني: مات أيوب السَّخْتِيَّاني سنة إحدى وثلاثين ومائة في الطاعون.

قُتل سعيد بن جُبَيْر سنة خمس وتسعين، وفيها مات الحَجَّاج.

وُلِدَ مالك بن أنس سنة خمس وتسعين، ومات سنة تسع وسبعين ومائة، وهو ابن أربع وثمانين.

مات يزيد بن زُرَيْع سنة ثنتين وثمانين ومائة.

مات الثوري سنة إحدى وستين ومائة.

مات شعبة سنة ستين ومائة.

فرحم الله الإمام علي بن المديني ما كان أوسع علمه بأسماء الرجال وأنسابهم وأحوالهم وتاريخ وفياتهم، وكان قد أخذ ذلك العلم عن شيوخه الحفاظ كيجي بن سعيد القطان وغيره، وأخذ يجي القطان ذلك عن شيوخه الحفاظ كشعبة بن الحجاج وغيره، وقد كان ابن المديني يعتبر علم الرجال نصف العلم، قال تلميذه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: سمعت علي بن المديني يقول: التفقة في معاني الحديث: نصف العلم، ومعرفة الرجال: نصف العلم.

ونختتم ترجمة علي بن عبد الله ابن المديني بحديث من أحاديثه من صحيح البخاري:

قال البخاري رحمه الله في باب لا يُعَذَّب بعذاب الله حديث رقم (٣٠١٧): حدثنا علي بن عبد الله بن المديني، قال: حدثنا سفيان، عن أيوب، عن عكرمة، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرَّق قوما، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أُحرِّقهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تُعَذِّبوا بعذاب الله))، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من بدَّل دينه فاقتلوه)).

ورواه البخاري بإسناد آخر في باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، حديث رقم (٦٩٢٢)، قال البخاري: حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، قال: أتني علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أُحرِّقهم، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُعَذِّبوا بعذاب الله))، ولقتلتهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من بدَّل دينه فاقتلوه)).

ورواه الترمذي بإسناد ثالث حديث رقم (١٤٥٨)، قال الترمذي: حدثنا أحمد بن عبدة الضبي البصري قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، قال: حدثنا أيوب، عن عكرمة، أن عليا حرَّق قوما ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لقتلتهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من بدَّل دينه فاقتلوه))، ولم أكن لأحرقهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُعَذِّبوا بعذاب الله))، فبلغ ذلك عليا فقال: صدق ابن عباس.

ورواه أبو داود بإسناد رابع حديث رقم (٤٣٥١)، قال أبو داود: حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخبرنا أيوب، عن عكرمة، وذكر الحديث. قلت: وهذا الحديث في مسند أحمد برقم (١٨٧١) كما رواه أبو داود عن أحمد بنفس الإسناد والمتمن.

ورواه ابن ماجه بإسناد خامس حديث رقم (٢٥٣٥)، قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن الصباح قال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، وذكر الحديث.

ورواه النسائي بإسناد سادس حديث رقم (٤٠٥٩)، قال النسائي: أخبرنا عمران بن موسى قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا أيوب، عن عكرمة، وذكر الحديث.

توفي علي بن المديني رحمه الله في سامراء سنة ٢٣٤ هجرية وعمره ٧٣ عاما.

(٣١) أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي

قال عنه الذهبي: عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة، الإمام، العَلَم، سيد الحفاظ، كان بحرا من بحور العلم، وبه يُضرب المثل في قوة الحفظ، وإليه المنتهى في الثقة، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والحفظ، وهو أخو الحفاظ عثمان بن أبي شيبة، والحافظ إبراهيم بن أبي بكر هو ولده، والحافظ محمد بن عثمان هو ابن أخيه، فهم بيت علم، وأبو بكر: أجلهم.

قال يحيى بن عبد الحميد الحماني: أولاد ابن أبي شيبة من أهل العلم، كانوا يزاحموننا عند كل محدث.

وقال أحمد بن حنبل: أبو بكر بن أبي شيبة ثقة.

وقال أحمد العجلي: كان أبو بكر ثقة، حافظا للحديث.

وقال عمرو بن علي الفلاس: ما رأيت أحدا أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة، قديم علينا مع علي بن المديني، فسرده للشيباني أربعمئة حديث حفظا!

وقال الحفاظ الكبير أبو زرعة الرازي: ما رأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة.

وقال الخطيب البغدادي: كان أبو بكر ابن أبي شيبة متقنا حافظا.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: أبو بكر بن أبي شيبة أسرد المحدثين للحديث، وأحسنهم تصنيفا.

بلغ عدد شيوخ أبي بكر بن أبي شيبة ١٧٠ شيخا، وعندما قدم بغداد وجلس يُحدث الناس اجتمع عليه نحو ثلاثين ألفا من طلاب العلم والعامه، وقد بلغ عدد طلابه الذين كتبوا عنه الحديث ورووه عنه ٥٧ طالبا، ومن أشهرهم: البخاري ومسلم، وهو أكثر شيخ روى عنه الإمام مسلم في صحيحه، فقد روى عنه في صحيحه نحو ١٢٠٠ حديث بالمكررات والمتابعات، وهذا العدد يقارب نصف أحاديث صحيح مسلم الذي تبلغ أحاديثه ثلاثة آلاف حديث تقريبا.

ومن أشهر كتب أبي بكر بن أبي شيبة المطبوعة كتاب المصنّف، وهو مطبوع في ٢٥ مجلدا، جمع فيه أبو بكر بن أبي شيبة ما يقارب أربعين ألفا من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، رواها كلها بالأسانيد، ورَتَّبَها على الكتب والأبواب الفقهية، وعدد النصوص فيه بالتحديد (٣٧٩٤٣) نصّا

مسندًا، فمصنّف ابن أبي شيبة أكبر من مصنّف عبد الرزاق الصنعاني وأجل، وإن كان مصنّف عبد الرزاق أعلى إسنادًا، ويشتركان في رواية الكثير من الأحاديث والآثار.

وعدد الكتب في مصنّف ابن أبي شيبة ٣٨ كتابًا، بدأها بكتاب الطهارة، ثم كتاب الأذان والإقامة، ثم كتاب الصلوات، .. إلى أن عقد في أواخره كتاب المغازي وكتاب الفتن، وكل كتاب يتضمن أبوابًا كثيرة، وفي كل باب يذكر كثيرًا من الأحاديث والآثار بإسناده، وبعض الأبواب لا يذكر فيها إلا آثارًا عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمثلاً كتاب الطهارة فيه أكثر من ٢٥٠ بابًا، وبلغت النصوص في كتاب الطهارة (٢١١٧)، كلها تتعلق بمسائل الطهارة، وهو عدد كبير جدًا، فمصنّف ابن أبي شيبة يُعتبر أعظم الكتب المسندة الجامعة لفتاوى وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، وفيه من النصوص ما لا يكاد يوجد مجموعًا في غيره إلا في مصنّف عبد الرزاق الذي يقاربه في كثرة الفوائد.

وعقد ابن أبي شيبة في مصنّفه كتابًا في الفضائل، ذكر فيه فضائل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وخديجة وفاطمة وعائشة وغيرهم من الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

ونختم ترجمة ابن أبي شيبة بذكر بعض الروايات التي ذكرها في مصنّفه في باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال أبو بكر بن أبي شيبة حديث رقم (٣٢٠٧٢): حدثنا مُطَلِّبُ بن زياد، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل، عن جابر بن عبد الله قال: كنا بالجحفة بغدير خُمٍّ، إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: ((من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه)).

قال أبو بكر بن أبي شيبة (٣٢١٣٢): حدثنا الفضل بن دُكَيْن عن ابن أبي غَنيَّة عن الحكم عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس عن بُريدة قال: مررتُ مع عليٍّ إلى اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرتُ عليا فنقصته، فجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير، فقال: ((ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟!))، قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه)).

قال أبو بكر بن أبي شيبة (٣٢١٣٣): حدثنا وكيع عن شعبة عن أبي التَّيَّاح عن أبي السَّوَّارِ العدوي قال: قال علي بن أبي طالب: (لِيَجِبُنِي قَوْمٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي حُبِّي، وَلِيَبْغِضُنِي قَوْمٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي بَغْضِي!).

قال أبو بكر بن أبي شيبة (٣٢١٣٤): حدثنا وكيع عن حمَّاد عن ابن أبي بَحيح عن أبي حنيفة قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: (يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُفْرِطٌ فِي حُبِّي، وَمُفْرِطٌ فِي بُغْضِي).

قال أبو بكر بن أبي شيبة (٣٢١٤٠): حدثنا عُثْمَانُ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ).

قلت: وكل هذه الروايات قد رواها غير ابن أبي شيبة، وتابعه على روايتها غيره من أهل الحديث، ولولا خوف الإطالة لبينت من رواها في كتب الحديث الأخرى، فمثلا الرواية الأخيرة رواها الإمام البخاري في صحيحه في باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما برقم (٣٧٥١)، قال البخاري: حدثني يحيى بن معين وصدقة قالوا: أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة عن واقد بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر الصديق: (ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته).

فقد تابع يحيى بن معين وصدقة بن الفضل أبا بكر بن أبي شيبة في رواية هذا الأثر عن شيخهم محمد بن جعفر الملقب عُثْمَانُ.

توفي أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله في الكوفة سنة ٢٣٥ هجرية وعمره ٧٦ عاما.

٣٢) إسحاق بن راهوَيِّه الحنظلي المروزي

محدثٌ من كبار حفاظ العرب، فهو من بني تميم، واسم أبيه إبراهيم، فيقال له: إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق بن راهوَيِّه، وقد سُئل عن سبب تسمية أبيه بذلك فقال: وُلِدَ أبي في طريق مكة، فقالت المروزة: راهويه؛ لأنه وُلِدَ في الطريق.

ارتحل إسحاق بن راهوَيِّه لطلب العلم إلى مدن خراسان، والعراق، والحجاز، واليمن، والشام، ولقي الحفاظ الكبار، وكتب الحديث عن كثير من أتباع التابعين، وبلغ عدد شيوخه ١٥٦ شيخاً، وبلغ عدد طلابه المشهورين ٥١ طالباً، ومن أشهر طلابه: البخاري ومسلم.

قال الخطيب البغدادي: كان إسحاق أحد أئمة المسلمين، وعَلِمَا من أعلام الدين، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد.

وقال الذهبي: الإمام الكبير، سيد الحفاظ، جبلٌ في الحفظ والإتقان، كان لا يُحدث إلا من حفظه، روى سبعين ألف حديث، وتتبع المحدثون حديثه فلم يجدوه أخطأً إلا في حديثين، وهذا يدل على أنه أحفظ أهل زمانه، وكان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهاد.

وقال الحاكم: إسحاق بن راهويه إمام عصره في الحفظ والفتوى، سكن نيسابور، ومات بها.

وقال محمد بن يحيى الصفار: لو كان الحسن البصري في الأحياء لاحتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

وقال محمد بن أسلم الطوسي: ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق، وكان أعلم الناس، ولو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق.

وقال أحمد بن سعيد الرباطي: لو كان الثوري وحماد بن سلمة وحماد بن زيد في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه.

وقال أبو محمد الدارمي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه.

وقال علي بن حجر: لم يُخْلَفْ إسحاق مثله بخراسان علماً وفقهاً.

وقال أحمد بن حنبل: إسحاق عندنا إمام، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً، لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً.

وقال قُتيبة بن سعيد: الحفاظ بخراسان: إسحاق بن راهويه، ثم عبد الله الدارمي، ثم محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال النسائي: ابن راهويه أحد الأئمة، ثقة، مأمون.

وقال إبراهيم بن أبي طالب: سألت أبا قدامة السرخسي عن الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عُبَيْد القاسم بن سَلَّام، فقال: أما أفقهم: فالشافعي، إلا أنه قليل الحديث، وأما أورعهم: فأحمد، وأما أحفظهم: فإسحاق، وأما أعلمهم بلغات العرب: فأبو عُبيد.

قلت: يقصد أبو قدامة أن الإمام الشافعي قليل الحديث مقارنة بالحفاظ الكبار الذين أكثروا من كتابة الحديث، ورحلوا في طلبه من شيوخ الأمصار، وجمعوا عشرات الآلاف من الأحاديث والآثار بالأسانيد المتعددة، بل كتب بعضهم مئات الآلاف من الأسانيد ولو تكررت متونها، وإلا فالإمام الشافعي مع شهرته بالفقه كان محدثاً أيضاً، وقد روى آلاف الأحاديث والآثار بأسانيده، كما يُعلم ذلك من كتبه، وقد ذكر أكثرها البيهقي في كتابه معرفة السنن والآثار المطبوع في ١٥ مجلداً.

قال إسحاق بن راهويه عن نفسه: ما كنت أسمع شيئاً إلا حفظته، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث في كتي!

وقال تلميذه أبو داود الخفاف: أُملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً، ولا نقص حرفاً!

وقال تلميذه أبو يحيى الشعرائي: ما رأيت بيد إسحاق كتاباً قط، وما كان يُحدث إلا حفظاً!

وقال تلميذه الحافظ إبراهيم بن أبي طالب: أُملى إسحاق المسند كله حفظاً!

قلت: مسند إسحاق المطبوع عدد أحاديثه ٢٤٢٥، وهو في خمسة مجلدات.

ولم يكن إسحاق يحفظ بالأسانيد الأحاديث النبوية فقط، بل كان يحفظ أيضا أقوال المفسرين بأسانيدها!

قال أحمد بن سلمة: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: ذكرت لأبي زُرعة حفظ إسحاق بن راهويه، فقال أبو زُرعة: ما رُئي أحفظ من إسحاق. ثم قال أبو حاتم: والعجب من إتقانه، وسلامته من الغلط مع ما رُزق من الحفظ! فقلت لأبي حاتم: إنه أملئ التفسير عن ظهر قلبه! قال: وهذا أعجب، فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها!!

قلت: روى ابن المنذر في تفسيره بعض روايات إسحاق بن راهويه في التفسير، مثال ذلك:

قال ابن المنذر رحمه الله في تفسيره: حدثنا زكريا الحَقَّاف، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قول الله جل وعز: {رَبِّ إِلَيَّ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} [آل عمران: ٣٥] قال: نَذَرْتُ أَنْ تَجْعَلَهُ محرراً للعبادة.

وكان إسحاق إماما في الفقه، وكان له أتباع يقلدونه في الفقه ثم انقرض مذهبه، وكثير من أقواله في الفقه محفوظة في سنن الترمذي وفي كتاب مسائل الإمامين أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وهو من تأليف إسحاق الكوسج المتوفى سنة ٢٥١ هجرية، وهو مطبوع في ٩ مجلدات، وفيه نحو ثلاثة آلاف سؤال، وجَّهها الكوسج لأحمد بن حنبل ودَوَّنَ إجاباته بعد كل سؤال منها، ثم وجَّه تلك الأسئلة مع إجابات أحمد بن حنبل لإسحاق بن راهويه، فرما قال مثله، وربما زاد فائدة، وربما خالفه.

مثال ذلك من مسائل الكوسج: قال إسحاق الكوسج رحمه الله: قلت لأحمد: ما يقول بين السجدين؟ قال: رب اغفر لي. على حديث حذيفة. قال إسحاق بن راهويه: إن شاء قال ذلك ثلاثاً، وإن شاء قال: اللهم اغفر لي وارحمي وعافني واهدني وارزقي؛ لأن كليهما يُذكران عن النبي صلى الله عليه وسلم بين السجدين.

ومثال بعض أقوال إسحاق المحفوظة في سنن الترمذي: قال الترمذي في باب ما جاء في قيام شهر رمضان: اختلف أهل العلم في قيام رمضان، فرأى بعضهم: أن يصلي إحدى وأربعين ركعة مع الوتر، وهو قول أهل المدينة، والعمل على هذا عندهم بالمدينة، وأكثر أهل العلم على ما روي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عشرين ركعة، وهو قول الثوري، وابن المبارك، والشافعي،

وقال الشافعي: وهكذا أدركت ببلدنا بمكة يصلون عشرين ركعة. وقال أحمد: روي في هذا ألوان، ولم يقض فيه بشيء، وقال إسحاق: بل نختار إحدى وأربعين ركعة على ما روي عن أبي بن كعب.

ونختم ترجمة إسحاق بن راهويه بقوله: لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعد عمر أفضل من عثمان، ولم يكن على الأرض بعد عثمان خيرٌ ولا أفضل من علي رضي الله عنهم.

توفي إسحاق بن راهويه رحمه الله في نيسابور سنة ٢٣٨ هجرية وعمره ٧٧ عاما.

٣٣ أحمد بن حنبل الشيباني المروزي

هو الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، أحد أئمة الإسلام.

كان أحمد حافظا للقرآن الكريم، عالما بتفسيره، وكان إماما في الحديث وفي العبادة والزهد، وكان إماما في الفقه، فقد تتلمذ في الفقه على الإمام الشافعي، وكتب كُتُب أصحاب الإمام أبي حنيفة وحفظها كما نقل ذلك أبو بكر الخلال، وكان يفتي في حياة مشايخه، وقد جمع عنه طلابه آلاف المسائل والفتاوى.

بدأ أحمد بن حنبل يطلب علم الحديث وعمره ١٤ عاما بعد حفظه للقرآن، وبلغ عدد شيوخه الذين روى عنهم الحديث في مسنده أكثر من ٢٨٠ شيخا، ومن أقدم مشايخه الذين كتب عنهم الحديث في بداية طلبه للعلم: هُشيم بن بشير، كتب عنه أكثر من ثلاثة آلاف حديث، ورحل إلى مكة فأدرك سفيان بن عيينة قبل موته بسنة، وكتب عنه الكثير من الحديث، ورحل إلى صنعاء فأقام عند عبد الرزاق الصنعاني عدة أشهر حتى كتب حديثه كله، ورحل إلى الشام لطلب العلم وجهاد الروم، ورابط في طَرَسُوسَ.

وكانت دفاتر أحمد التي كتب فيها الحديث عن مشايخه كثيرة جدا، حزرها تلميذه أبو زرعة بنحو اثني عشر حمل بعير، وكان يحفظ حديثه كله بالأسانيد!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث (يعني مليون)!! فقيل له: وما يُدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب. قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فُسِّرَ، ونحو ذلك، وإلا فالممتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

اشتهر علم أحمد وسعة حفظه وفقهه وفضله في حياة كثير من مشايخه، قال شيخه وكيع بن الجراح الكوفي: ما قديم الكوفة مثل أحمد بن حنبل.

وقال شيخه يحيى القطان البصري: ما قدم علينا مثل أحمد ويحيى بن معين، وما قديم عليٍّ من بغداد أحب إليَّ من أحمد بن حنبل.

وقال شيخه أبو عاصم النبيل: لم أر مثل أحمد بن حنبل.

وقال شيخه يحيى بن آدم: أحمد بن حنبل إمامنا.

وقال شيخه سليمان بن حرب: أحمد بن حنبل عندنا إمام.

وقال شيخه عبد الرحمن بن مهدي: أعلم أهل الحديث بحديث سفيان الثوري أحمد بن حنبل، وما نظرت إلى أحمد إلا ذكرت به سفيان الثوري.

وقال شيخه عبد الرزاق الصنعاني: ما رأيت أحدا أفقه ولا أروع من أحمد بن حنبل، إن يعيش يكون خلفا من العلماء.

وقال شيخه قتيبة بن سعيد: خير أهل زماننا عبد الله بن المبارك، ثم هذا الشاب -يعني: أحمد بن حنبل، ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث لكان هو المقدم عليهم، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا.

قال المزني: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد شابا إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق. قلت: ومن هو؟! قال: أحمد بن حنبل.

وقال حرمله: سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

وقال مهنا بن يحيى: ما رأيت رجلا أجمع من أحمد في علمه وزهده وورعه.

وقال نصر بن علي الجهضمي: أحمد أفضل أهل زمانه.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

وقال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة، ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

ومن أخبار أحمد بن حنبل في رحلته في طلب العلم أنه كان لا يقبل شيئا من المال من مشايخه، وكان يصنع بيده ما يبيعه ويقتات به، وكان يؤاجر نفسه لأصحاب القوافل ليحملوه في بعض أسفاره، ورهن

نعله مرة عند خباز باليمن، وكان لا يقبل شيئا من الناس مع شدة حاجته، وكان يكره الدخول على الأمراء، وكان قوي التحمل صبورا زاهدا، وكان ذلك من أسباب ثباته في المنعة، فتحمل الضرب بالسياط حتى سالت الدماء من ظهره، وصبر على طول السجن وثقل القيود والتعليق والتهديد بالقتل، ولم يرضخ للخلفاء الثلاثة الذين أرادوه أن يقول ببدعة خلق القرآن، وهم الخليفة المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، ولم يلتفت إلى ترهيبهم ولا ترغيبهم، وثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكان يناظر القضاة والعلماء المبتدعة ويفحهم بالحجج، ويقول: اعطوني شيئا من كتاب الله وسنة رسوله، ولما انتهت المنعة في عهد الخليفة المتوكل العباسي لم يقبل أحمد بن حنبل عطايا الخليفة، وزهد فيها، وكان يغمه شهرته بين الناس، ويكره مدح الناس له، ويعدُّه من البلاء، وكان يقول: إذا عَرَفَ الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس؟! ولما قيل له: ما أكثر مَنْ يدعو لك من الناس! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجا! ويقول: مَنْ أنا؟ وما أنا؟!

وكان أحمد بن حنبل ممن جمع بين العلم والعبادة، فكان كثير العبادة والخوف من الله، كثير التلاوة للقرآن الكريم من المصحف، وحج إلى بيت الله خمس مرات، منها ثلاث حجرات مشيا على قدميه، ولم يتزوج إلا وهو ابن أربعين سنة لانشغاله بكتابة الحديث وجمع طرقه وحفظه، وكان يُحجى الليل بالصلاة منذ كان غلاما، واستمر على قيام الليل إلى أن مات.

قال المُرُوزِيُّ: قال لي أحمد بن حنبل: ما كتبت حديثا إلا وقد عملت به، وكان يركع فيما بين المغرب والعشاء، وكان إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت هان عليَّ كل أمر الدنيا، إنما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباس، وإنها أيامٌ قلائل، ما أعدل بالفقر شيئا، ولو وجدت السبيل لخرجتُ حتى لا يكون لي ذكْر.

وكان أحمد بن حنبل يفتات من إيجار بيتٍ له ورثه من أبيه، وكانت زوجته تغزل فتبيع الأستار فيتقوتون بذلك، وربما نسخ بأجرة، وكان أحيانا يأخذ الفأس ويخرج يعمل بيده، وكان كثير التواضع، يشتري الحطب فيحمله من السوق إلى البيت، وربما اقترض من بعض أصحابه شيئا من المال أو الدقيق ثم يقضيه، وكان قانعا برزقه، وكان يقول: قليل الدنيا يجزئ، وكثيرها لا يجزئ.

وكان أحمد ذا سكينه ووقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا سُئل عما لا يعلم قال: لا أدري.

وكان أحمد مع فقره كريما بما يجد، وربما أعطى السائل شيئا قليلا ويقول له: أعطيتك نصف ما عندنا، وأعطى طالب علم خمسة دراهم بعد أن أخبره بحاجته وقال: ما عندنا غيرها، وأعطى رجلا قميصه، وعفا عن مستأجر داره كراء ثلاثة أشهر.

قال ابنه صالح: ربما رأيت أبي يأخذ كسرة الخبز فينفض الغبار عنها، ويُصيرُها في قصعة، ويصب عليها ماء، ثم يأكلها بالملح. وكان يأتم بالخل كثيرا، وكانت له قلنسوة خاطها بيده، وكان يتلو سورة الكهف كثيرا، وكنت أسمعه كثيرا يقول: اللهم سلِّم سلِّم.

وقال ابنه عبد الله: كان أبي يصلي في كل يوم ليلة ثلاث مائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي كل يوم ليلة مائة وخمسين ركعة، وكان يقرأ كل يوم سُبعًا من القرآن، فيختم المصحف في كل أسبوع، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصبح يصلي ويدعو، وكان يُدمن الصوم، ثم يفطر ما شاء الله، ولا يترك صوم الإثنين والخميس وأيام البيض.

ذكر أبو عمير الرملي أحمد بن حنبل فقال: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره! وبالماضين ما كان أشبهه! وبالصالحين ما كان أحقه! عَرَضْتُ له الدنيا فأبأها، والبَدَعَ فنفاها.

وكان أحمد شديد التحري في رواية الحديث، لا يروي الحديث لطلابه إلا نظرا من كتابه خشية الخطأ والنسيان، وقد بلغ عدد طلابه الذين رووا عنه الحديث ١١٩ راويا، ومن أشهرهم: الأئمة البخاري ومسلم وأبو داود وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة الرازي.

وألَّف أحمد بن حنبل كتبا مشهورة، منها كتاب الزهد، فيه ٢٣٦٨ رواية، وكتاب فضائل الصحابة، فيه ١٩٦٢ رواية، وكتاب العِلل ومعرفة الرجال، مطبوع في ٣ مجلدات، وكتاب الرد على الجهمية والزنادقة، وأشهر كتبه على الإطلاق المسند، وهو مطبوع في ٥٠ مجلدا، منها ٥ مجلدات للفهارس، وعدد أحاديث مسند أحمد ٢٧٦٤٧ حديثا.

قال أحمد: هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفا.

وطريقة أحمد في ترتيب المسند أنه يذكر أحاديث كل صحابي على حدة، فبدأه بذكر مسند الخلفاء الراشدين الأربعة ثم مسند بقية العشرة المبشرين بالجنة واحدا واحدا، ثم ذكر مسند أهل البيت، ثم مسند

المكثرين من الصحابة، ثم مسند المكيين والمدنيين والشاميين والكوفيين والبصريين ثم مسند الأنصار ثم مسند النساء ثم مسند القبائل.

ونختم ترجمة أحمد بن حنبل بحديث من مسنده، وهو الحديث رقم (٢٢٣٩٧):

قال أحمد رحمه الله: حدثنا أبو النضر قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي قال: أخبرنا أبو أسماء الرّحبي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها)) قلنا: يا رسول الله، أَمِنْ قِلَّةِ بنا يومئذٍ؟! قال: ((أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوهن)). قلنا: وما الوهن؟ قال: ((حب الحياة وكراهية الموت)).

توفي أحمد بن حنبل رحمه الله في بغداد سنة ٢٤١ هجرية وعمره ٧٧ عاما.

٣٤) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي

من كبار المحدثين العرب، فدارم بطنٌ من قبيلة تميم، طاف أبو محمد الدارمي الأقاليم في طلب الحديث، وبلغ عدد شيوخه ١٣٥ شيخاً، وصنف كتابه المسند الجامع الذي يُعد أحد كتب الحديث التسعة، وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند أحمد، وموطأ مالك، ومسند الدارمي.

قال أبو حاتم الرازي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي إمام أهل زمانه.

وقال محمد بن إبراهيم الشيرازي: كان عبد الله بن عبد الرحمن على غاية من العقل والديانة، يُضرب به المثل في الحلم والدراية، والحفظ والعبادة والزهادة، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند، وذب عنها الكذب، وكان مفسراً كاملاً، وفقها عالماً.

وقد أُعجب الإمام أحمد بن حنبل بعلمه وزهده، ووصفه بأنه إمام وسيد، وقال عنه: كان ثقة وزيادة، عُرضت عليه الدنيا فلم يقبل!

وقال ابن حبان: كان الدارمي من الحفاظ المتقين، وأهل الورع في الدين، ممن حفظ وجمع، وتفقه، وصنّف وحدّث، وأظهر السنة ببلده، ودعا إليها، وذب عن حريمها، وقمع من خالفها.

وقال أبو بكر الخطيب: كان الدارمي أحد الرّحّالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له، مع الثقة والصدق، والورع والزهد، واستقضي على سمرقند فأبى، فألح السلطان عليه حتى يقلده، وقضى قضية واحدة، ثم استعفى فأعفى، وكان على غاية العقل، ونهاية الفضل، يُضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة، والاجتهاد والعبادة، والزهادة والتقلل.

وقال محمد بن عبد الله بن نمير: عَلَبْنَا عبد الله بن عبد الرحمن بالحفظ والورع.

وقال شيخه محمد بن بشار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زُرعة بالري، ومسلم بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

وقال رجاء بن مرجى: ما رأيت أحفظ من عبد الله الدارمي.

بلغ عدد تلاميذ الدارمي المشهورين ٣١ راويا، ومن أشهر من روى عنه: مسلم والترمذي وأبو داود، وهو من أقران البخاري، وتوفي قبل البخاري بسنة واحدة، ولما بلغ البخاري وفاته استرجع وبكى.

قال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري، فورد عليه كتاب فيه نعي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، فنكس رأسه ثم رفع واسترجع، وجعل تسيل دموعه على خديه، ثم أنشأ يقول:

إِنْ تَبَقَّ تُفَجِّعُ بِالْأَجَبَةِ كُلَّهُمْ ... وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لَا أَبَا لَكَ أَفْجَعُ

ومن أعظم المصنفات التي خلفها الدارمي كتابه: المسند الجامع، ويسميه بعضهم مسند الدارمي، ويسميه بعضهم سنن الدارمي، بلغت عدد أحاديثه (٣٨٣٣) حديثا، وقد رتب الدارمي كتابه على الأبواب الفقهية، مبتدئا بكتاب علامات النبوة ثم كتاب الصلاة والطهارة إلى أن ختمه بكتاب فضائل القرآن. ونحتم ترجمة الدارمي بهذه الأحاديث الثلاثة التي أخرجها في مسنده الجامع في كتاب فضائل القرآن باب خياركم من تعلم القرآن وعلمه.

قال الدارمي رحمه الله: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق قال: حدثنا النعمان بن سعد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

حدثنا الحجاج بن منهال قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن خيركم من علم القرآن أو تعلمه)).

حدثنا المعلى بن أسد قال: حدثنا الحارث بن نبهان قال: حدثنا عاصم بن بحدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلم القرآن)).

فهذا متن حديث واحد رواه الدارمي عن ثلاثة من الصحابة، وقد رواه أيضا غير الدارمي بأسانيد كثيرة، فعلى سبيل المثال:

الحديث الأول عن علي رواه أيضا الترمذي في سننه برقم (٢٩٠٩).

والحديث الثاني عن عثمان رواه أيضا البخاري في صحيحه برقم (٥٠٢٧).

والحديث الثالث عن سعد بن أبي وقاص رواه أيضا ابن ماجه في سننه (٢١٣).

ويلاحظ أن معنى الحديث واحد برواياته الثلاث وإن اختلفت الألفاظ قليلا؛ لأن رواية الحديث بالمعنى جائزة عند المحدثين بشرط عدم تغيير المعنى، وهذا من الفروق بين القرآن الكريم والحديث الشريف، فالقرآن لا يجوز روايته بالمعنى، أما الحديث النبوي فيجوز روايته بالمعنى لكن بشرط عدم تغيير المعنى، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول الحديث فيسمعه أصحابه، فيروي الصحابي الحديث بنفس ألفاظ الرسول أو قريبا من لفظه بما لا يغير معناه، ولا ضير في ذلك.

توفي الدارمي رحمه الله سنة ٢٥٥ هجرية وعمره ٧٥ عاما.

جبل الحفظ، وإمام الدنيا في الحديث، حفظ القرآن الكريم وهو غلام، وحَبَّبَ الله إليه حفظ الحديث وعمره عشرة أعوام، واجتهد في طلب العلم فكان يلتهم العلم التهاماً حتى أنه لما بلغ ستة عشر عاماً كان قد حفظ جميع كتب عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وفيها عشرات الآلاف من الأحاديث والآثار، وعرف منذ صغره كلام أصحاب أبي حنيفة في الأحكام الفقهية، وصنَّف وعمره ثمانية عشر عاماً كتاب قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، وصنَّف في صغره أيضاً كتاب التاريخ الذي ذكر فيه أسماء آلاف الرواة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، مع ذكر شيء من أنسابهم، وبعض من روى عنهم ورووا عنه، وربما ذكر تاريخ وفياتهم.

قال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال: لو جئت قبل لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث! يعني البخاري وهو صغير، قال: فخرجت في طلبه حتى لحقته فسألته عن صحة حفظه سبعين ألف حديث، فقال: نعم، وأكثر، ولا أحيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرَّفْتُكَ تاريخ مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم!

رحل البخاري لسماع الحديث إلى أكثر مُحدِّثي الأمصار في خراسان ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، ولقي كبار علماء عصره، وبلغ عدد شيوخه في الحديث ألفاً وثمانين شيخاً، وكان البخاري إذا كتب عن شيخ سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحملته الحديث، وربما سألته أن يُخرج إليه أصله ونسخته ليتأكد من صحة ما يرويه عن مشايخه، واشتهر البخاري في حياة شيوخه بالحفظ والإتقان والتحري، حتى أن بعض شيوخه روى عنه، وطلب منه بعض شيوخه أن يفيد به ما في كتابه من سقط أو غلط، وكان شيوخه يفضلونه على أنفسهم، وكان بعضهم يسألونه عن علل الحديث، وكانوا يهابونه لسعة علمه وإتقانه ومعرفته بغالب أحاديثهم من طرق أخرى.

ورحل طلاب العلم إلى البخاري لسماع الحديث منه، وبلغ عدد طلابه عشرات الآلاف، قال تلميذه صالح بن محمد: كان البخاري أحفظهم للحديث، وكنت أستملي له ببغداد، فبلغ من حضر المجلس عشرين ألفاً، وقال تلميذه الفريري: سمع كتاب صحيح البخاري تسعون ألف رجل.

وكان البخاري حريصا على نشر الحديث النبوي، أملى يوما حديثا كثيرا على أحد طلابه، فخاف أن يمل، فقال له: طِبْ نفسا، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم، وأنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قال محمد بن حمدويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح.

ومن عجيب حفظ البخاري لأسماء الرواة ما نقله محمد بن أبي حاتم الوراق قال: سمعت البخاري يقول: تفكرت أصحاب أنس بن مالك فحضرتني في ساعة ثلاث مائة. أي: أنه استحضر التابعين الذين رووا عن أنس بن مالك فعد منهم من حفظه ثلاثمائة راو في ساعة!

ومن عجيب حفظ البخاري لمتون الأحاديث وأسانيدها ما قاله أبو الأزهر: كان بسمرقند أربع مائة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد، ولا في المتن!

وقال أبو بكر الكلذواني: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل البخاري، كان يأخذ الكتاب فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة!!

وقال الترمذي: لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال حاتم بن منصور: محمد بن إسماعيل البخاري آية من آيات الله.

وقال الحسين بن حريث: لا أعلم أني رأيت مثل البخاري، كأنه لم يُخلق إلا للحديث.

ولم يكن البخاري محدثا فقط، بل كان حافظا لكتاب الله، عارفا بتفسيره، فقيها مجتهدا، ومن يطلع على أبواب صحيحه يعلم قدر فقهه، ودقة استنباطه.

قال شيخه نُعيم بن حماد: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وكان البخاري صابرا زاهدا، شاكرا كريما، دقيق الورع، وكان لا يشتغل بأمور الناس، كل شغله في العلم والعبادة، وكان يتجنب الدخول على السلاطين والأمراء، وكانت له قطعة أرض يكرها كل سنة بسبع مائة درهم، وكان قليل الأكل، نحيفا، ليس بالطويل ولا بالقصير.

وكان البخاري يختم في شهر رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التروايح كل ثلاث ليال بختمة!

وقال تلميذه محمد بن أبي حاتم الوراق: كان البخاري يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة.

وقال سليم بن مجاهد: ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه، ولا أورع، ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل البخاري .

وقال بكر بن منير: سمعت البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أي اغتبت أحدا.

قال الذهبي: كان البخاري إماما حافظا، حجة، رأسا في الفقه والحديث، مجتهدا، من أفراد العلم مع الدين والورع والتأله.

وكان البخاري مع علمه مجاهدا في سبيل الله، وكان ماهرا بالرمي، مرابطا في الثغور.

وللبخاري مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه الصحيح، ومن مؤلفاته أيضا: التاريخ الكبير (٨ مجلدات، والتاريخ الأوسط، والضعفاء الصغير، والأدب المفرد، وخلق أفعال العباد، ورفع اليدين في الصلاة.

نبذة تعريفية مختصرة بكتاب صحيح البخاري

اسم صحيح البخاري هو: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

اعتنى الإمام البخاري رحمه الله في تأليفه للجامع الصحيح عناية بالغة، قال البخاري: صنف الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله.

وعدد أحاديث صحيح البخاري (٢٥٠٠) حديث تقريباً بدون تكرار، وعدد أحاديثه مع التكرار (٧٥٦٣).

وقد رتب البخاري صحيحه ترتيباً مفيداً في كتب متنوعة، وعدد الكتب التي عقدها البخاري في صحيحه (٩٧) كتاباً، بدأها بكتاب بدأ الوحي، فكتاب الإيمان، فكتاب العلم، ثم كتب العبادات من الوضوء والغسل .. إلخ، وتناول في تلك الكتب سائر أحكام الشرع العملية والاعتقادية، ومن الكتب التي عقدها: كتاب تفسير القرآن، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب الأدب، وكتاب الدعوات، وكتاب الرقاق، ومما ذكره كتاب أحاديث الأنبياء، وكتاب المناقب، وكتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وضمنه: باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، وباب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، وباب مناقب فاطمة عليها السلام. وعقد كتاب المغازي لذكر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته، ثم ذكر أخيراً: كتاب الفتن وكتاب الأحكام وكتاب التمني وكتاب أخبار الآحاد وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وختم كتابه بكتاب التوحيد.

وكل كتاب في صحيح البخاري يتضمن أبواباً يذكر فيها البخاري بعض الآيات المناسبة للباب، ويروي في كل باب عدداً من الأحاديث بإسناده، ويكرر غالباً الحديث الواحد في أكثر من باب ليستخرج منه بعض الأحكام الفقهية، وبعض الفوائد المستنبطة؛ ولذلك قال العلماء: فقه البخاري في تراجمه، أي: في الأبواب التي عقدها في صحيحه، فهي تدل على فقهه وحسن استنباطه، وقد يذكر البخاري في بعض الأبواب أقوالاً لبعض الصحابة والتابعين.

قال البخاري: ما أدخلت في كتابي حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته.

وهذا من البخاري لزيادة التأكد من صحة الأحاديث التي بذل جهده في اختيارها من أصح الأسانيد، وإلا فهو إمام الدنيا في حفظ السنة النبوية وتمييز صحيحها من سقيمها ومعرفة الرواة كما يُعلم ذلك من ترجمته.

وقد وضع الله القبول لكتاب صحيح البخاري بما لا نظير له في الكتب المصنفة، فتلقاه العلماء في مختلف البلدان وعلى مر الأعصار بالرواية والسماع، والنسخ والشرح، والحفظ والدرس، بما لا ترى مثله لأي كتاب آخر بعد كتاب الله.

قال الحافظ ابن كثير: أجمع العلماء على قبول صحيح البخاري وصحة ما فيه.

وقال النووي: اتفق العلماء رحمهم الله على أنَّ أصح الكتب بعد القرآن العزيز: الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صحَّ أنَّ مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث. وقد أحسن من قال:

صحيح البخاري لو أنصفوه ... لما خُطَّ إلا بماء الذهب

هو الفرق بين الهدى والعمى ... هو السُّدُّ بين الفتى والعَطَب

ونختم ترجمة البخاري بما رواه رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيحه في باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان:

قال الإمام البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن عُلية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا آدم بن أبي إياس قال: حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).

توفي البخاري رحمه الله ليلة عيد الفطر في قرية خَرَنْتَنك قرب سمرقند سنة ٢٥٦ هجرية وعمره ٦٢ عاماً.

٣٦ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

قال الذهبي: هو الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري.

بدأ مسلم بسماع الحديث وكتابته وهو غلام مراهق، وحجَّ بعد بلوغه، وسمع من بعض علماء مكة، ثم رجع إلى وطنه نيسابور، ثم ارتحل إلى العراق، والحرمين، ومصر، فكتب الحديث عن أكابر علماء عصره، وبلغ عدد مشايخه ٢٣٥ شيخا، ومن أشهر مشايخه الإمام البخاري، فقد أكثر مسلم من مجالسته حين استوطن البخاري نيسابور.

قال شيخه محمد بن بشار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زُرعة بالرِّي، ومسلم بنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

وقد كان الحافظان الكبيران أبو زُرعة الرازي وأبو حاتم الرازي يُقدِّمان الإمام مسلما في معرفة الحديث الصحيح على مشايخ عصرهما.

قال النووي: أجمعوا على جلالة مسلم وإمامته، وعلو مرتبته، وحذقه في هذه الصنعة، وتقدمه فيها، وتضلعه منها، ومن أكبر الدلائل على جلالته، وإمامته، وورعه، وحذقه، وقعوده في علوم الحديث، واضطلاعه منها، وتفننه فيها، كتابه الصحيح، الذي لم يُوجد في كتاب قبله ولا بعده من حُسن الترتيب، وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة، وتنبيهه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد ولو في حرف!

وللإمام مسلم مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه الصحيح، ومن مؤلفاته المطبوعة: الكنى والأسماء، ذكر فيه أسماء وكنى (٣٨٠٠) راويا من رواة الحديث، وكتاب التمييز، ذكر فيه أوهام بعض المحدثين، وكتاب المنفردات والوحدان، ذكر فيه (١٣٣٤) راويا لم يرو عنهم إلا راو واحد فقط، وهذا الكتاب يدل على سعة علم مسلم بأحوال الرواة، حيث ذكر فيه كل راوٍ لم يرو عنه إلا راو واحد، وليس هذا بالأمر الهين إلا على من كان حافظا كبيرا متقنا ذكيا كمسلم رحمه الله.

وقد بلغ عدد طلابه المشهورين الذين أخذوا عنه العلم ٣٥ راويا.

نبذة تعريفية مختصرة بكتاب صحيح مسلم

اسم صحيح مسلم هو: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مكث الإمام مسلم رحمه الله في تأليف كتابه الصحيح المختصر خمس عشرة سنة، قال محمد الماسرجسي: سمعت مسلما يقول: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة.

وقال مكي بن عبدان: سمعت مسلما يقول: عرضت كتابي هذا المسند على أبي زرعة، فكل ما أشار علي في هذا الكتاب أن له علة وسببا تركته، وكل ما قال: إنه صحيح ليس له علة فهو الذي أخرجت، ولو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مائتي سنة فمدارهم على هذا المسند.

وقال مسلم: ما وضعت في هذا المسند شيئا إلا بحجة، ولا أسقطت شيئا منه إلا بحجة.

وعدد أحاديث صحيح مسلم (٣٠٣٣) حديث.

وقد بدأ مسلم صحيحه بمقدمة مفيدة، وأول حديث في المقدمة رواه مسلم بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكذبوا عليّ، فإنه من يكذب عليّ يلج النار))، وقد رتب مسلم أحاديث صحيحه في أكثر من خمسين كتابًا، بدأها بكتاب الإيمان، ثم الطهارة، إلى أن ذكر في أواخر صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار ثم كتاب الفتن وأشراف الساعة ثم كتاب الزهد والرقائق وأخيرا كتاب التفسير، وآخر حديث في صحيح مسلم في فضل حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنهم الذين بارزوا المشركين في غزوة بدر، وأنزل الله فيهم: {هَٰذَا نِ خَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَحْمَةٍ} [الحج: ١٩]، فبدأ مسلم كتابه بحديث عن علي بن أبي طالب، وختمه بحديث في فضله، وفي أثناء صحيحه ذكر كتاب فضائل الصحابة ثم ذكر أحاديث كثيرة في فضائل علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأهل البيت.

ولمسلم طريقة متميزة في صحيحه، فهو يجمع أسانيد الحديث الواحد ويذكر متنه كاملا ورواياته بتفصيل في مكان واحد، مما يُقرّب الفائدة للمتخصصين في الحديث.

قال الإمام النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم: ومن حَقَّق نظره في صحيح مسلم رحمه الله واطَّلَعَ على ما أودعه في أسانيده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقته من نفائس التحقيق وجواهر التدقيق وأنواع الورع والاحتياط والتحري في الرواية وتلخيص الطرق واختصارها وضبط متفرقاتها وانتشارها وكثرة اطلاعه واتساع روايته وغير ذلك مما فيه من المحاسن والأعجوبات واللطائف الظاهرات والخفيات؛ علم أنه إمام لا يلحقه من بُعد عصره، وقلَّ من يساويه بل يُدانيه من أهل وقته ودهره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقال الحافظ ابن حجر: حصل لمسلم في كتابه حظٌ عظيمٌ مفرطٌ لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يُفضِّلُه على صحيح البخاري؛ وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ من غير تقطيع ولا رواية بمعنى.

ونُختم ترجمة مسلم بحديث واحد من صحيحه وهو الحديث رقم (٢٦٧٣) مع ذكر أسانيد الإمام مسلم إلى هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الذي تدور عليه أسانيد هذا الحديث:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئِلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)).

وذكر مسلم أسانيد أخرى لهذا الحديث، فقال: حدثنا أبو الربيع العتكي قال: حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: حدثنا يحيى بن يحيى قال: أخبرنا عباد بن عباد وأبو معاوية عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قالوا: حدثنا وكيع عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: وحدثنا أبو كريب قال: حدثنا ابن إدريس وأبو أسامة وابن نمير وعبدية عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: وحدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: وحدثني محمد بن حاتم قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: وحدثني أبو بكر بن نافع قال: حدثنا عمر بن علي عن هشام بن عروة، وقال مسلم أيضاً: وحدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا شعبة بن الحجاج، كلهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا الحديث الواحد رواه مسلم من عشرة طرق، وكان أهل الحديث يعدون كل طريق حديثاً، فهذا الحديث بهذه الطرق العشرة يُعتبر عند المحدثين عشرة أحاديث وليس حديثاً واحداً؛ لأن كل إسناد عندهم حديث مستقل، وكانوا يرحلون من أجل رواية الحديث بإسناد آخر مع حفظهم للحديث بعدة أسانيد، فلم يكن أهل الحديث يكتفون برواية الحديث بإسناد واحد، بل يجمعون طرقه وأسانيده بقدر الطاقة، ثم يقارنون بين الروايات والأسانيد، حتى يتبين لهم أي خطأ في المتن أو في الإسناد.

وليس ما يذكره مسلم في صحيحه من أسانيد للحديث هي جميع أسانيد الحديث، بل هي بعضها، فقد ذكر مسلم في مقدمته أنه جعل كتابه مختصراً، فهو يذكر بعض الأسانيد وليس كل ما عنده من طرق للحديث، وقد ألّف بعض تلاميذ مسلم وهو أبو عوانة الإسفرائيني المتوفى سنة ٣١٦ هجرية كتاب المسند الصحيح المخرّج على صحيح مسلم، وهو مطبوع في (٢٠) مجلداً، وبلغت أحاديثه (١١٨٨٢)، يروي فيه أبو عوانة أحاديث صحيح مسلم من غير طريق مسلم، فيجتمع مع مسلم في شيخه أو من فوقه، مما يقوي الحديث بكثرة طرقه، وربما ساق أبو عوانة للحديث الذي في صحيح مسلم طرقاً أخرى إلى الصحابي!!

فرحم الله المحدثين، وجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء، لحفظهم سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

توفي مسلم رحمه الله في نيسابور سنة ٢٦١ هجرية وعمره ٥٧ عاماً تقريباً.

٣٧) محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني

ماجه: بفتح الجيم وهاء ساكنة، هو لقب والده يزيد، والقزويني نسبة إلى قزوين، وهي مدينة تقع في الشمال الغربي من طهران عاصمة إيران، وفي شمالها يقع بحر قزوين.

بدأ ابن ماجه بكتابة الحديث من صغره، وسافر في طلب الحديث إلى أكابر علماء عصره، فارتحل إلى الرِّي (طهران) وإلى نيسابور، وإلى العراق، ومكة، والشام، ومصر، وقد بلغ عدد شيوخه في الحديث ٣١٨ شيخاً، ولقي في سفره كثيراً من الفقهاء والقراء المشهورين، فاستفاد منهم علماً غزيراً.

قال الذهبي: أبو عبد الله بن ماجه القزويني الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر، مصنف السنن، والتاريخ، والتفسير، حافظ قزوين في عصره، كان ناقداً صادقاً، واسع العلم.

وقال أبو يعلى الخليلي: هو ثقة كبير، محتج به، له معرفة بالحديث وحفظ.

وقال المزني: ابن ماجه القزويني الحافظ، صاحب كتاب السنن، ذو التصانيف النافعة، والرحلة الواسعة.

وقال ابن الأثير: كان عاقلاً إماماً عالماً.

وقال عبد الكريم الرافي في كتابه أخبار قزوين: ابن ماجه إمام من أئمة المسلمين، كبير، متقن، مقبول بالاتفاق، صنف التفسير والتاريخ والسنن، ويقرن سننه بالصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي.

وقد شارك ابن ماجه البخاري ومسلما في كثير من شيوخهما كمحمد بن بشار الملقب بئندار، ومحمد بن المثنى، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب محمد بن العلاء الهمداني، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وغيرهم.

نبذة تعريفية مختصرة بكتاب السنن لابن ماجه

ألف ابن ماجه كتاباً في الحديث أسماه كتاب السنن، وعرضه على الحافظ الكبير أبي زرعة الرازي فنظر فيه، وأثنى عليه، وعدد أحاديث سنن ابن ماجه (٤٣٤١) حديثاً، وقد رتب ابن ماجه على ٣٧ كتاباً، وكل كتاب يتضمن أبواباً كثيرة، قال أبو الحسن القطان: في كتاب السنن لابن ماجه ألف وخمس مائة

باب. وقد بدأ ابن ماجه كتابه السنن بأحاديث في اتباع السنة النبوية وفي الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، ثم ذكر كتاب الطهارة وسننها ثم الصلاة إلى أن ختم كتابه بكتاب الزهد.

قال الحافظ ابن طاهر: كتاب ابن ماجه من نظر فيه علم مزينة الرجل من حسن الترتيب وغزارة الأبواب.

وقال الحافظ ابن كثير: ابن ماجه صاحب السنن المشهورة، الدالة على علمه وعمله، وتبحره واطلاعه، واتباعه للسنة في الأصول والفروع، وكتابه مفيد، قوي التبويب في الفقه.

وقال الحافظ ابن حجر: كتابه السنن جامعٌ جيد، كثير الأبواب والغرائب.

وقد استوعب ابن ماجه في كتابه أهم الأحاديث النبوية في العقيدة والعبادات والمعاملات والأدب والزهد، لكنه لم يكتف برواية الأحاديث الصحيحة فقط كما فعل البخاري ومسلم في كتابيهما الصحيحين، بل يروي الأحاديث الصحيحة والضعيفة والواهية، وهو يرويها بالأسانيد التي سمعها من شيوخه، فهو وغيره من المحدثين كانوا في عصر تدوين السنة النبوية، فكان لا بد أن يكتبوا كل ما يروى بالأسانيد، ومن أسند لك فقد أحالك، وكتابتهم لجميع الأحاديث الصحيحة والضعيفة من محاسنهم، حتى تضمن الأمة حفظ السنة النبوية، ولا يخفى على أهل الحديث المتخصصين التمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة عند النظر في أسانيدها ومتونها وجمع طرقها، وبعض الأحاديث المروية بأسانيد ضعيفة ينجر ضعفها بورودها من طرق أخرى، فيحكم المحدثون بصحتها، وفي معرفة الأحاديث الضعيفة فوائد كثيرة، منها معرفة أدلة الفقهاء في بعض المسائل الاجتهادية المختلف فيها، فيعرف الباحث عند المقارنة بين الأقوال دليل كل قول، ويعرف سبب ضعف الحديث الضعيف بالنظر في إسناده الذي حفظه لنا علماء الحديث في كتبهم.

ونختتم الترجمة بذكر حديث صحيح رواه ابن ماجه في كتاب الزهد في باب ذكر الذنوب، حديث رقم (٤٢٤٥)، قال رحمه الله: حدثنا عيسى بن يونس الرملي قال: حدثنا عقبة بن علقمة بن حديج المعافري عن أرطاة بن المنذر عن أبي عامر الأهلي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لأعلمنَّ أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا!))، قال ثوبان: يا رسول الله صِفْهم لنا، جلَّهم لنا، أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم!

قال: ((أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)).

توفي ابن ماجه رحمه الله في قزوين سنة ٢٧٣ هجرية وعمره ٦٤ عاما.

٣٨ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني

أصله عربي من قبيلة الأزدي اليمنية، وسجستان إقليم كبير يقع الآن في الجنوب والجنوب الغربي لأفغانستان، ويمتد إلى بعض مناطق إيران، ويعرف الآن باسم سيستان، وقد فتح المسلمون إقليم سجستان في عهد الخلفيتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقد استوطنها أحد أجداد أبي داود من اليمانيين أيام الفتح الإسلامي، فولد أبو داود فيها، ويُنسب إليها فيقال: السجستاني، ويقال أيضا في نسبته: السجزي.

رحل أبو داود رحلة واسعة لجمع الحديث النبوي من مشايخ عصره، وقد بلغ عدد شيوخه ٤٧٠ شيخا، فكتب عنهم الكثير، حتى أنه كتب عن شيخ واحد فقط نحو خمسين ألف حديث، وهو شيخه محمد بن بشار البصري، وكان أبو داود يحفظ غيبا مائة ألف حديث بأسانيدھا، واستوطن البصرة لنشر العلم النبوي إلى أن توفي.

قال أبو عبد الله الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، سمع الحديث بمصر والحجاز والشام والعراق وخراسان.

وقال الذهبي: الإمام، شيخ السنة، مقدّم الحفاظ، أبو داود الأزدي، السجستاني، محدث البصرة.

وقال أبو بكر الخلال: أبو داود الإمام المقدم في زمانه، رجلاً لم يسبقه إلى معرفته بتحريج العلوم وبصره بمواضعه أحد في زمانه.

وقال أحمد بن محمد بن ياسين: كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أعلى درجة النسك والعفاف، والصالح والورع، من فرسان الحديث.

وقال أبو حاتم بن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقها، وعلماء وحفظا، ونسكا وورعا وإتقانا، جمع وصنّف، وذب عن السنن.

وقال النووي: اتفق العلماء على الثناء على أبي داود، ووصفه بالحفظ التام، والعلم الوافر، والإتقان والورع والدين، والفهم الثاقب في الحديث وغيره.

وقال ابن تيمية: البخاري وأبو داود إمامان في الفقه من أهل الاجتهاد.

وقال الصاغاني: لَين لأبي داود السجستاني الحديث كما لَين لداود عليه السلام الحديد!

وقال الحافظ موسى بن هارون: ما رأيت أفضل من أبي داود.

نبذة تعريفية مختصرة بكتاب السنن لأبي داود

قال أبو بكر بن داسة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعني: كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بينته.

وقد ألف أبو داود كتابه السنن وهو مرابط للجهاد في طرسوس في جنوب تركيا، وكانت ثغرا على حدود بلاد الروم، قال أبو داود: أقمت بطرسوس عشرين سنة، كتبت المسند، وكتبت أربعة آلاف حديث لمن وفقه الله.

وعدد أحاديث كتاب السنن لأبي داود (٥٢٧٤) حديثا كما في طبعة المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وأكثر أحاديث كتاب السنن لأبي داود في الأحكام الفقهية، وقد رتبها أبو داود في أكثر من ٤٠ كتابا، أوله كتاب الطهارة، وآخره كتاب الأدب.

قال الإمام الخطابي: كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف، لم يصنّف في علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة، فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم، وأمّهات السنن، وأحكام الفقه، ما لا نعلم متقدما سبقه إليه، ولا متأخرا لحقه فيه.

وقال الحافظ ابن أبي القراميد: خير كتاب ألف في السنن كتاب أبي داود السجستاني.

وقال الإمام الغزالي: كتاب أبي داود كافٍ للمجتهد.

وقال الإمام القاسم بن يوسف التحيبي: هذا الكتاب هو كتاب الفقهاء أصحاب المسائل؛ لأنهم يجدون فيه ما يحتاجون إليه في كل باب من أبواب الفقه، مما يشهد لهم بصحة ما ذهبوا إليه، وليس يوجد في كتب السنة مثله في هذا الفن.

وقال الحافظ الذهبي: كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول.

وقال الحافظ زكريا الساجي: كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب أبي داود عهد الإسلام.

وقد بلغ عدد طلاب أبي داود المشهورين ٥٠ طالبا ممن كتب عنه الحديث، وأشهر من روى عنه كتاب السنن أربعة:

أبو علي اللؤلؤي، المتوفى سنة ٣٣٣ هجرية، قرأ كتاب السنن على أبي داود مرات كثيرة في مدة عشرين سنة، وكان يُدعى ورّاق أبي داود.

وأبو بكر بن داسه البصري التمار، المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية، وهو آخر من حدّث الناس بكتاب السنن كاملا عن مؤلفه أبي داود.

وأحمد بن الأعرابي، المتوفى سنة ٣٤٠ هجرية.

وأبو الحسن علي بن العبد الوراق، المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية، سمع كتاب السنن من أبي داود ست مرات. ولأبي داود كتاب المراسيل، ذكر فيه (٥٤٤) من الأحاديث التي أرسلها التابعون عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة من غير ذكر من حدّثهم بها، وهو كتاب عظيم في بابيه، لم يفرد أحد بالتأليف غير أبي داود، وقد رتب تلك الأحاديث على الأبواب الفقهية، مثال ذلك:

قال أبو داود في كتاب المراسيل رقم (٩٩): حدثنا مسدد عن هُشيم عن حُصين عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر قال: ((اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت)). فهذا الحديث مرسل، والمرسل ضعيف عند أهل الحديث، فقد رواه التابعي معاذ بن زهرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، ولم يذكر من حدّثه به من الصحابة أو من التابعين، ومثل هذا يتوقف أهل الحديث في صحته، ويحكمون بضعفه على غالب الظن، ولا يجوزون بنسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك لا يجوزون بإنكاره، بل يتوقفون في تصحيحه إلا أن يجدوه مرويا من طريق آخر يصلح للشواهد فيحكموا له حينئذ بالصحة، فإن لم يوجد له إسناد آخر فهو ضعيف، وهذا من تثبت أهل

الحديث وعدم تساهلهم، والثابت في الدعاء عند الفطر ما رواه أبو داود في سننه في باب القول عند الإفطار حديث رقم (٢٣٥٧) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن يحيى قال: حدثنا علي بن الحسن قال: أخبرني الحسين بن واقد قال: حدثنا مروان بن سالم المقفع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: ((ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله)).

ولأبي داود كتاب الزهد، وهو كتاب مطبوع كثير الفوائد، ذكر فيه خمسمائة رواية فيها بعض أقوال وأخبار الزهاد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، يرويها أبو داود بالأسانيد.

توفي أبو داود رحمه الله في البصرة سنة ٢٧٥ هجرية وعمره ٧٣ عاماً، ودُفن إلى جانب قبر أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري.

قال الذهبي: هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الحافظ، العَلَم، الإمام، البارِع، مصنف كتاب الجامع، وكتاب العِلل، وغير ذلك، عمي في كبره بعد رحلته وكتابتة العلم.

بلغ عدد شيوخه ٢١٦، وأشهر مشايخه البخاري، وقد أكثر من الرواية عنه وسؤاله عن علل الأحاديث وأحوال الرواة، وقد شارك البخاري في الرواية عن بعض شيوخه.

قال ابن حبان في كتابه الثقات: كان أبو عيسى ممن جمع، وصنف، وحفظ، وذاكر.

وقال أبو سعد الإدريسي: كان أبو عيسى يُضرب به المثل في الحفظ.

وقال الحاكم: سمعت عمر بن علك الجوهري يقول: مات البخاري فلم يُخْلَف بخراسان مثل أبي عيسى الترمذي في العلم والحفظ، والورع والزهد، بكى حتى عمي، وبقي ضريرا سنين.

نبذة تعريفية مختصرة بكتاب السنن للترمذي

اسم كتاب الترمذي: الجامع الكبير، ويسمى جامع الترمذي، ويسمى أيضا سنن الترمذي، عدد أحاديثه (٣٩٥٦) حديثا، رتبه الترمذي على الأبواب الفقهية، فبدأه بأبواب الطهارة ثم أبواب الصلاة وبقية العبادات، إلى أن ذكر في أواخره أبواب فضائل القرآن وأبواب القراءات وأبواب تفسير القرآن وأبواب الدعوات ثم ختمه بأبواب المناقب، وذكر في المناقب فضل النبي صلى الله عليه وسلم، ومناقب أبي بكر الصديق، ومناقب عمر بن الخطاب، ومناقب عثمان بن عفان، ومناقب علي بن أبي طالب، ثم ذكر مناقب بقية العشرة المبشرين بالجنة، ومناقب الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب، ومناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومناقب غيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وختم أبواب المناقب بباب فضل الشام واليمن.

قال الترمذي: صنف هذا الكتاب وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم.

قال ابن الأثير: كتاب الترمذي أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، وأحسنها ترتيبا، وأقلها تكرارا، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب، ووجوه الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح، والحسن،

والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتاب العلل، قد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها.

قال الذهبي: في كتاب جامع الترمذي علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام، لولا ما كدّره بأحاديث واهية، وكتابه قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهه، ولكنه يترخص في قبول الأحاديث الضعيفة ولا يُشدّد.

وسنختم ترجمة الترمذي بثلاثة أحاديث من كتابه السنن ليعرف القارئ طريقة الترمذي في التصحيح والتضعيف وفي ذكر أقوال الفقهاء:

الحديث الأول: قال الترمذي (٢٦٦٠) في أبواب العلم باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ابن بنت السدي قال: حدثنا شريك بن عبد الله عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكذبوا عليّ؛ فإنه من كذب عليّ يلج في النار)). وفي الباب عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، والزبير، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن عمرو، وأنس، وجابر، وابن عباس، وأبي سعيد، وعمرو بن عبسة، وعقبة بن عامر، ومعاوية، وبريدة، وأبي موسى، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمر، والمنقع، وأوس الثقفي. حديث عليّ حديث حسن صحيح، قال عبد الرحمن بن مهدي: منصور بن المعتمر أثبت أهل الكوفة. وقال وكيع: لم يكذب ربعي بن حراش في الإسلام كذبة. انتهى كلام الترمذي بلفظه، ومعنى قول الترمذي: وفي الباب عن فلان وفلان، أن هذا الحديث رواه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أولئك الصحابة الذين عدّد الترمذي أسماءهم، ولم يذكر رواياتهم اختصارا، فهذا الحديث أفاد الترمذي بأنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عشرون صحابيا، وهذا يدل على سعة حفظ الترمذي، ومعرفته بشواهد الحديث ورواياته، وعلماء الحديث يروون كل حديث منها بالأسانيد، ومن أراد الاطلاع على أسانيدها ومتونها فليرجع إلى شرح سنن الترمذي للمباركفوري، أو إلى كتاب نزهة الألباب في قول الترمذي وفي الباب للشيخ المحدث حسن حيدر الوائلي الصنعائي، وهو مطبوع في ستة مجلدات.

الحديث الثاني: قال الترمذي (٢٩١٦) في أبواب فضائل القرآن: حدثنا عبد الوهاب بن الحكم الوراق البغدادي قال: حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عُرِضَتْ عليّ أجور أمّتي حتى القذاة يخرجها

الرجل من المسجد، وعُرضت عليّ ذنوب أمّتي، فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها)). هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وذاكرت به محمد بن إسماعيل [البخاري] فلم يعرفه واستغربه، قال محمد [هو البخاري]: ولا أعرف للمطلب بن عبد الله بن حنطب سمعا من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا قوله: حدثني من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن [الدارمي] يقول: لا نعرف للمطلب سمعا من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال عبد الله [الدارمي]: وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس. انتهى.

فهذا الحديث رواه الترمذي وضعفه، ونقل تضعيفه عن الإمامين البخاري والدارمي، فقد تفرد بروايته المطلب عن أنس بن مالك، ولا يُعرف أن أحدا من أصحاب أنس رواه عن أنس، ولا يعرف المحدثون للمطلب سمعا من أنس بن مالك، وهذا مما يوجب التوقف في صحة الحديث، وأيضا توجد فيه علة أخرى، وهي أنه تفرد بروايته ابن جريج عن المطلب، ولم يصرح ابن جريج بالسماع منه، بل قال: عن المطلب، فيخشى تدليس، ولهذا قال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، واستغربه هو وشيخه البخاري؛ لأنه لا يُروى من طرق أخرى، فبسبب هذه العلل حكم المحدثون بضعف هذا الحديث، والله أعلم.

الحديث الثالث: قال الترمذي (٣٤) في أبواب الطهارة باب ما جاء أن مسح الرأس مرة: حدثنا قتيبة قال: حدثنا بكر بن مضر عن ابن عجلان عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل عن الرُّبَيْع بنت معوذ ابن عفراء أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، قالت: مسح رأسه، ومسح ما أقبل منه، وما أدبر، وصدغيه، وأذنيه مرة واحدة. وفي الباب عن علي بن أبي طالب، وجد طلحة بن مصرف. حديث الرُّبَيْع حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسح برأسه مرة. والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم، وبه يقول: جعفر بن محمد [هو الملقب الصادق]، وسفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو مسح الرأس مرة واحدة. حدثنا محمد بن منصور قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: سألت جعفر بن محمد [الصادق] عن مسح الرأس أيجزئ مرة؟ فقال: إي والله.

توفي الترمذي رحمه الله في ترمذ سنة ٢٧٩ هجرية وعمره ٧٠ عاما تقريبا.

٤٠ أحمد بن شعيب النسائي

قال الذهبي: الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي، صاحب كتاب السنن، وُلد بنسًا [من مدن خراسان]، وطلب العلم في صغره، ورحل إلى خراسان [بلاد واسعة تشمل حاليا الشمال الشرقي من إيران وبعض أفغانستان]، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والثغور.

ومن رحل إليهم النسائي الحافظ الكبير قتيبة بن سعيد، رحل النسائي إليه وعمره خمسة عشر عاما، فأقام عنده ببغلان [من نواحي مدينة بلخ في أفغانستان] سنة وشهرين، فكتب عنه حديثا كثيرا.

قال الذهبي: كان النسائي من بحور العلم، مع الفهم، والإتقان، والبصر، ونقد الرجال، وحسن التأليف. ثم استوطن مصر، ورحل الحفاظ إليه، ولم يبق له نظير في هذا الشأن، وكان شيخا مهيبا، نضِر الوجه مع كبر سنه، ولم يكن أحد في رأس سنة ثلاثمائة أحفظ من النسائي، وهو أحذق بالحديث وعِلّله ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن الترمذي، وهو جارٍ في مضمار البخاري وأبي زُرعة الرازي.

قال أبو الحسن الدارقطني: أبو عبد الرحمن النسائي مقدّم على كل من يُذكر بهذا العلم من أهل عصره، لا أقدم على النسائي أحدا، وكان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، ولم يكن في الورع مثله.

وقال الحاكم: هو أحد الأئمة الحفاظ العلماء، لقي المشايخ الكبار.

وقد بلغ عدد شيوخ النسائي في الحديث ٤٤٩ راويا، ولم يكن النسائي محدثا فقط، بل كان عالما بالقرآن، فقيها، قاضيا، وهو ممن أخذ القرآن عن أبي شعيب السوسي راوي قراءة أبي عمرو البصري أحد القراء السبعة، وتولى النسائي القضاء بمصر وحمص، وتبويات كتابه السنن تدل على إمامته في الفقه، قال الحاكم: كلام النسائي على فقه الحديث كثير، ومن نظر في سننه تحير في حسن كلامه!

وقد بلغ عدد طلاب النسائي المشهورين ٥٧ راويا، منهم: أبو جعفر الطحاوي، وأبو علي النيسابوري، وحمزة الكناي، وأبو جعفر النحاس النحوي، وأبو بكر أحمد بن محمد بن السني، والحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير.

وكان النسائي ممن جمع بين العلم والعبادة، قال الحافظ محمد بن المظفر: سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النسائي في العبادة بالليل والنهار، وأنه خرج مع أمير مصر إلى طرسوس لفداء أسرى المسلمين من الروم، فوصف من شهامته، وإقامته السنن الماثورة في فداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه.

وكان النسائي كثير المحبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كغيره من علماء الحديث، وصنف كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وذكر أن سبب تأليفه أنه دخل دمشق فوجد كثيرا من أهلها يجهلون فضائل علي رضي الله عنه، فصنف كتاب الخصائص ورجى من الله أن يهديهم بسبب كتابه، وقد روى في كتاب خصائص أمير المؤمنين علي (١٩٤) رواية مما يرويه أهل الحديث بالأسانيد في فضائل علي رضي الله عنه.

وللنسائي كتب كثيرة مطبوعة، منها: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، وكتاب تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكتاب الضعفاء والمتروكون، وكتاب المدلسين.

نبذة تعريفية مختصرة بكتاب السنن للنسائي

كتاب السنن الصغرى للنسائي أحد كتب الحديث الستة المشهورة، وهو مختصر من كتاب السنن الكبرى، ويسمى المجتبى، وهو من تأليف النسائي نفسه، انتقاه من كتابه السنن الكبرى، وقيل: إن الذي انتقاه هو ابن السني تلميذ النسائي، وهو الراوي لكتاب السنن الصغرى عن النسائي، وكتاب السنن الصغرى مطبوع في ٨ مجلدات، وعدد الأحاديث والآثار فيه (٥٧٥٨)، وفيه ٥١ كتابا، أولها كتاب الطهارة، وآخرها كتاب الأشربة، وهو أصح كتب السنن، وأكثرها حديثا صحيحا، وأقلها حديثا ضعيفا. أما كتاب السنن الكبرى للنسائي فمطبوع في ١٠ مجلدات، وعدد الأحاديث والآثار فيه (١١٩٤٩)، وفيه ٥٨ كتابا، أولها كتاب الطهارة، وآخرها كتاب الملائكة، وفيه بعض الكتب التي أفردت بالطباعة مثل: كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكتاب عمل اليوم والليلة، وكتاب فضائل القرآن، فهذه الكتب ضمن كتاب السنن الكبرى، وقد روى السنن الكبرى عن النسائي عدة رواة ثقات من تلاميذه، أشهرهم: ابن الأحمر، وابن السني، وابن الصوفي، وعبدالكريم ابن النسائي.

ونُختم ترجمة النسائي بحديث من كتابه السنن الصغرى، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الشقاق، والنفاق، وسوء الأخلاق، حديث رقم (٥٤٧٠)، قال النسائي رحمه الله: أخبرنا قُتَيْبَةُ قال: حدثنا خَلْفٌ عن حفص عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوات: ((اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع، ودعاءٍ لا يُسمع، ونفسٍ لا تشبع))، ثم يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع)).

توفي النسائي رحمه الله في فلسطين وهو متجه إلى الحج سنة ٣٠٣ هجرية، وقيل: إنه وصل إلى مكة وهو مريض فمات بها، وعمره ٨٨ عاما.

تنبيه مهم

هؤلاء الحفاظ الأربعون الذين اخترت ترجمتهم في هذا الكتاب هم من أشهر حفاظ السنة النبوية، وليسوا هم فقط الذين حفظوا السنة النبوية، بل يوجد غيرهم من الحفاظ المشهورين من مشايخهم وأقرانهم وطلابهم، وقد أشرت إلى ذلك بذكر عدد مشايخ وطلاب كل من ذكرته في كتابي هذا، وبعض الحفاظ الذين لم أذكرهم أكثر جمعا وإتقانا من بعض المذكورين، كعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) صاحب كتاب سنن الدارمي، وأبي زُرعة عُبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤هـ)، وبقي بن مخلد الأندلسي (ت ٢٧٦هـ)، وأبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧٧هـ)، وأبي زُرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي (ت ٢٨١هـ)، وأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ) صاحب مسند البزار، وأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) صاحب مسند أبي يعلى، ومحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) صاحب كتاب تهذيب الآثار، والتفسير المشهور، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) صاحب كتاب صحيح ابن خزيمة، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ومحمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) صاحب كتاب صحيح ابن حبان، وكتاب الثقات، وكتاب المجروحين، وكتاب مشاهير علماء الأمصار، وسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، وكتاب مسند الشاميين، وكتاب الدعاء، وعلي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) صاحب كتاب سنن الدارقطني، ومؤلف أشهر كتاب في العلل الواردة في الأحاديث النبوية، وله كتاب الضعفاء والمتروكون، وكتاب الإلزامات والتتبع، وكتاب الصفات، وكتاب رؤية الله، وكتاب فضائل الصحابة، وأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) صاحب كتاب المستدرک على الصحيحين، وكتاب معرفة علوم الحديث، وأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) صاحب كتاب السنن الكبرى، والسنن الصغير، ومعرفة السنن والآثار، وشُعَب الإيمان، ودلائل النبوة، والأسماء والصفات، وإثبات عذاب القبر، والزهد الكبير، والدعوات الكبير.

ولم يخل قرنٌ وجيلٌ من علماء الحديث وحفاظه إلى عصرنا هذا.

وما أحسن ما قاله محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) رحمه الله:

سلامٌ على أهل الحديث فإنني ... نشأتُ على حُبِّ الأحاديثِ من مهدي

هَمْ بذلوا في حفظِ سنةِ أحمدَ ... وتنقيحِها من جُهدِهم غايةَ الجُهدِ
وأعني بهم أسلافَ أمةِ أحمدَ ... أولئك في بيتِ القصيدِ هُمْ قصدي
أولئك أمثالُ البخاري ومسلمٍ ... وأحمدَ أهلِ الجِدِّ في العلمِ والجِدِّ
بحورٍ وحاشاهُم عن الجُزْرِ إنما ... لهم مددٌ يأتي من الله بالمدِّ
رووا وارتووا من بحرِ علمِ محمدٍ ... وليستْ لهم تلكَ المذاهبُ من وردِ
كفاهم كتابُ الله والسنةُ التي ... كفتْ قبلهم صحبُ الرسولِ ذوي المجدِ

فائدة في ذكر الصحابة المكثرين من رواية الحديث وعدد مروياتهم

الصحابة رضي الله عنهم تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب والحكمة، ونقلوا هذا العلم النافع إلى من جاء بعدهم، فعلموا التابعين القرآن والسنة، وكان منهم المتخصص في تعليم الناس القرآن وتفسيره، وكان منهم المتخصص في تعليم الناس الأحاديث والفقه، وكان منهم المشغول بالجهاد، وكان كثير منهم جامعا بين علم القرآن والسنة، ومنهم المكثرون من رواية الأحاديث، ومنهم المقل، فمنهم من روى مئات الأحاديث، ومنهم من روى عشرات الأحاديث، ومنهم من روى حديثا أو حديثين أو ثلاثة.

وقد كان حفاظ التابعين يحرصون على جمع الأحاديث من كل من أدركوهم من الصحابة أو من شيوخهم الذين أدركوا الصحابة، ثم كان حفاظ أتباع التابعين يحرصون على جمع الأحاديث من كل من أدركوهم من التابعين أو من شيوخهم الذين أدركوا التابعين، وهكذا.

ومشهور عند كثير من الناس أن عدد أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه أكثر من ٥٠٠٠ حديث، وقد ذكر هذا العدد العلامة ابن حزم عن مسند بقي بن مخلد رحمهما الله، والمراد من هذا العدد مجموع أحاديث أبي هريرة الصحيحة والضعيفة التي لم تصح عنه، والمكررة التي جاءت بنفس المتن والسند أو من طريق إسناد آخر عنه، وقد تتبع المحدث محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه (أبو هريرة في ضوء مروياته بشواهد وحال انفرادها) أحاديث أبي هريرة في الكتب التسعة التي هي أمهات كتب الحديث: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجه ومسند أحمد وموطأ مالك وسنن الدارمي؛ فوجد أن أحاديث أبي هريرة بعد حذف المكرر ١٤٧٥ حديثاً فقط، وفي هذا العدد الأحاديث الصحيحة الثابتة عن أبي هريرة رضي الله عنه والأحاديث الضعيفة التي لم تثبت عنه، وقد قمت في كتابي (الأحاديث الصحيحة التي تفرد بروايتها أبو هريرة رضي الله عنه) بدراسة الأحاديث التي ذكرها الأعظمي، فوجدت أن معظم أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه تابعه على روايتها غيره من الصحابة، وتوصلت إلى أن الأحاديث الصحيحة التي تفرد بها أبو هريرة رضي الله عنه ١١٠ أحاديث فقط، وأكثرها في الترغيب والترهيب والأخلاق والقصص، وبحني منشور - بحمد الله - في كثير من مواقع الإنترنت كموقع الألوكة.

والصحابه المكثرون من رواية الحديث سبعة جمعهم الناظم في قوله:

المكثرون في رواية الأثر ... أبو هريرة يليه ابنُ عمر

وأنسُ والحبرُ كالحُدريِّ ... وجابرٌ وزوجهُ النبيِّ

وقد بحثت عن عدد الأحاديث الصحيحة التي رواها هؤلاء الصحابة الحفاظ المكثرون من خلال كتاب الجامع الصغير وزيادته للألباني بواسطة المكتبة الشاملة، وهذه الإحصائيات تقريبية، لأن بعضها مكرر، وبعضها شواهد لأحاديث كتاب الجامع الصغير وزيادته، وقد يكون في بعض الشواهد ضعف، لكن هذه الأعداد قريبة من الواقع؛ لأن كتاب الجامع الصغير وزيادته أوسع كتاب جامع لمتون الأحاديث الصحيحة، وعدد أحاديثه ٨٢٠٢ حديثاً، وهو مستخرج من أهم وأشهر كتب الحديث: من صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه ومسنند أحمد والمستدرك على الصحيحين للحاكم وكتاب الأدب المفرد للبخاري وصحيح ابن حبان ومعاجم الطبراني الثلاثة الصغير والأوسط والكبير وسنن سعيد بن منصور ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ومصنف ابن أبي شيبة ومسنند أبي يعلى وسنن الدارقطني والسنن الكبرى للبيهقي وشعب الإيمان له وغيرها من كتب الحديث المشهورة.

وهذه هي النتائج التي توصلت إليها:

- ١- أبو هريرة رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٩٣٥ حديثاً.
- ٢- أنس بن مالك رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٥٤٦ حديثاً.
- ٣- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعدد أحاديثه ٤٨٠ حديثاً.
- ٤- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعدد أحاديثه ٤٥٠ حديثاً.
- ٥- جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، وعدد أحاديثه ٤٠٠ حديثاً.
- ٦- عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعدد أحاديثها ٣٩٢ حديثاً.
- ٧- أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٣١٢ حديثاً.

وبحثت أيضاً في كتاب صحيح الجامع عن الأحاديث الصحيحة للمكثرين من الصحابة ممن هم دون السبعة السابقين في الإكثار من الرواية، وهم:

- ١- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٢٧٤ حديثاً.
- ٢- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعدد أحاديثه ٢٤٥ حديثاً.
- ٣- أبو أمامة صُدي بن عجلان رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ١٤١ حديثاً.
- ٤- علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ١٢٧ حديثاً.
- ٥- أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ١٢٣ حديثاً.
- ٦- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ١٠٦ حديثاً.
- ٧- عقبة بن عامر رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٨٩ حديثاً.
- ٨- أبو الدرداء رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٨٦ حديثاً.
- ٩- عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعدد أحاديثه ٨٣ حديثاً.
- ١٠- حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وعدد أحاديثه ٨٢ حديثاً.

تتمة في ذكر القراء العشرة

اشتهر القراء العشرة بحفظ القرآن الكريم وإتقانه، وطالت أعمارهم في تعليمه كما سمعوا من مشايخهم بأسانيدهم المشهورة عن الصحابة، وكثر طلابهم الذين تلقوا عنهم القرآن، وتلقت الأمة قراءتهم بالقبول خلفا عن سلف بالأسانيد المحفوظة إلى يومنا هذا، وكل ما خالف قراءتهم فهي قراءة شاذة لا يُقرأ بها.

والعجيب أن أكثر القراء العشرة ليسوا من العرب، كما أن أكثر حفاظ الحديث ليسوا من العرب!

هذا مع أن كثيرا من مشايخ القراء العشرة ومشايخ حفاظ الحديث المشهورين من علماء العرب، وأسانيد كل من القراء والمحدثين تنتهي إلى علماء الصحابة من المهاجرين والأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٢، ٣]، وروى البخاري (٤٨٩٧) ومسلم (٢٥٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وَأَخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا، وفيما سلمان الفارسي، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان، ثم قال: ((لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء)).

صدق الله ورسوله؛ فإن أكثر القراء العشرة أصلهم من فارس، وأصحاب الحديث الستة المشهورة كلهم من فارس: البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، بل وأشهر علماء النحو من فارس كسيبويه، وأشهر علماء التفسير والتاريخ من فارس كمحمد بن جرير الطبري، ومن أشهر علماء الفقه الإمام أبو حنيفة قيل: أصله من فارس!

ولا يعني هذا أنه لا يوجد علماء من العرب، بل هؤلاء العلماء الذين من فارس أشهر مشايخهم هم من العرب، فمن أشهر قراء التابعين أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الذي بقي يعلم الناس القرآن أربعين سنة، وهو من العرب من أبناء الصحابة، وأبو عمرو بن العلاء المازني البصري وابن عامر اليحصبي الدمشقي من القراء العشرة وهما من العرب، وأعلم التابعين بالحديث محمد بن شهاب الزهري، وهو من

العرب من قريش، وكثير من حفاظ السنة من العرب كسفيان الثوري ووكيع بن الجراح الرؤاسي وإسحاق بن راهويه الحنظلي، والأئمة الفقهاء الثلاثة: مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل من العرب، والخليل بن أحمد الفراهيدي إمام العربية والنحو شيخ سيويه هو من العرب، وعبد الملك بن قُريب الأصمعي راوية الشعر واللغوي المشهور هو من العرب، وقد كان من قبيلة باهلة التي يحتقرها العرب.

فالعلم مكانه من طلبه وجدده، سواء كان شريفاً أو وضيعاً، وسواء كان أبيض أو أسود، وسواء كان عربياً أو عجمياً، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].

ونختتم الكتاب بذكر القراء العشرة المشهورين، ليجمع هذا الكتاب أشهر حفاظ القرآن وأشهر حفاظ السنة من التابعين ومن بعدهم، وسأرتب هؤلاء القراء العشرة بحسب وفائهم:

١. عبد الله بن عامر اليحصبي، مقرر دمشق، المتوفى فيها سنة ١١٨ هجرية.
٢. عبد الله بن كثير، مقرر مكة المكرمة، المتوفى فيها سنة ١٢٠ هجرية.
٣. عاصم بن أبي النجود، واسم أبيه بهذلة، مقرر الكوفة، المتوفى فيها سنة ١٢٧ هجرية.
٤. أبو جعفر يزيد بن القعقاع، مقرر المدينة النبوية، المتوفى فيها سنة ١٣٠ هجرية تقريباً.
٥. أبو عمرو بن العلاء المازني، مقرر البصرة، المتوفى في الكوفة سنة ١٥٤ هجرية.
٦. حمزة بن حبيب الزيات، مقرر الكوفة، المتوفى في حُلوان التي في العراق سنة ١٥٦ هجرية.
٧. نافع بن عبد الرحمن، مقرر المدينة النبوية، المتوفى فيها سنة ١٦٩ هجرية.
٨. علي بن حمزة الكسائي، مقرر الكوفة، المتوفى في بعض قرى الرِّي سنة ١٨٩ هجرية.
٩. يعقوب بن إسحاق الحضرمي مولاها، مقرر البصرة، المتوفى فيها سنة ٢٠٥ هجرية.
١٠. خَلَف بن هشام البَرَّار، مقرر بغداد، المتوفى فيها سنة ٢٢٩ هجرية.

وكل واحد من هؤلاء القراء العشرة له طلاب كثيرون أخذوا عنه القرآن، وقد اختار علماء القراءة لكل قارئ روايتين اثنتين، ممن اشتهروا بإتقان تلك القراءة وتخصصوا فيها، وطالت أعمارهم في تعليم الناس القرآن على القراءة التي يروونها عن أحد القراء العشرة، فمثلاً:

عاصم له راويان مشهوران: حفص بن سليمان وأبو بكر بن عياش (شعبة).

ونافع له راويان مشهوران: عيسى بن مينا (قالون) وعثمان بن سعيد المصري (ورث).

وأبو عمرو بن العلاء له راويان مشهوران: حفص الدوري وصالح السوسي.

وهكذا بقية القراء العشرة، لكل قارئ منهم راويان، فجميع الروايات عشرون رواية، وأشهر الروايات المنتشرة في زمننا هذا:

رواية حفص عن عاصم، ورواية ورث عن نافع، ورواية قالون عن نافع، ورواية الدوري عن أبي عمرو.

وكل رواية تُروى إلى يومنا هذا بالإسناد المتصل، فالقرآن الكريم محفوظ بجميع رواياته التي كان يقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم، وحفاظ القرآن المتقنون لهم أسانيد في القرآن الكريم تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أراد أن يطلع عليها فليسأل أحد المتخصصين في القراءات ليطلعها عليها، كما أن الأحاديث النبوية تُروى إلى يومنا هذا بالأسانيد المعروفة عند علماء الحديث المتخصصين، فكل كتاب من كتب الحديث المشهورة يرويه العلماء في كل قرنٍ وجيلٍ بالإسناد إما بالسماع وإما بالإجازة، فالإسناد من الدين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

لا يخفى على علماء الحديث المتخصصين وطلاب العلم العارفين بالمتون والأسانيد أن أكثر الأحاديث النبوية الصحيحة يرويها هؤلاء الحفاظ الأربعون الذين ذكرتهم في هذا الكتاب، والمتأمل في أحاديث صحيح مسلم - وعددها ٣٠٣٣ حديثا يروي مسلم كل حديث منها بأسانيد متعددة وطرق كثيرة - لا يكاد يجد حديثا واحدا من غير طريق أحد هؤلاء الحفاظ المكثرين، ومن وجد في صحيح مسلم حديثا من غير طريق أحد هؤلاء الرواة فقد يجده في غير صحيح مسلم مرويا من طريق أحدهم، ومن بحث في تخريج الأحاديث النبوية وجمع طرقها ونظر في أسانيد ما فسيجد أنه قل أن يوجد حديث صحيح لا يروى من طريق أحد هؤلاء الحفاظ الأربعين المتقنين، بل قد يجد في كثير من الأحاديث المسندة اثنين أو ثلاثة أو أربعة من هؤلاء الحفاظ الأربعين يروي بعضهم عن بعض!

فمعرفة غير المتخصصين في علم الحديث وطلاب العلم المبتدئين بتراجم هؤلاء الرواة الحفاظ الأربعين نافع جدا؛ لأن عليهم تدور غالب الأحاديث النبوية الصحيحة.

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَجْبَارٌ ... نَعَمَ الْمَطِيئَةُ لِلْفَتَى الْآثَارُ

لَا تُخْذَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارٌ

وَلَرُبَّمَا جَهْلُ الْفَتَى سُبُلُ الْهُدَى ... وَالشَّمْسُ بَارِعَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى أهل بيته وأزواجه وذريته، ورضي الله عن أصحاب نبيه من المهاجرين والأنصار السابقين الأولين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وغفر الله لنا وللمسلمين والمسلمات أجمعين.

وكتب/ محمد بن علي بن جميل المطري